الدكتور عزت السيد أحمد

كتابة البحث

المفاهيم والقواعد والأصول

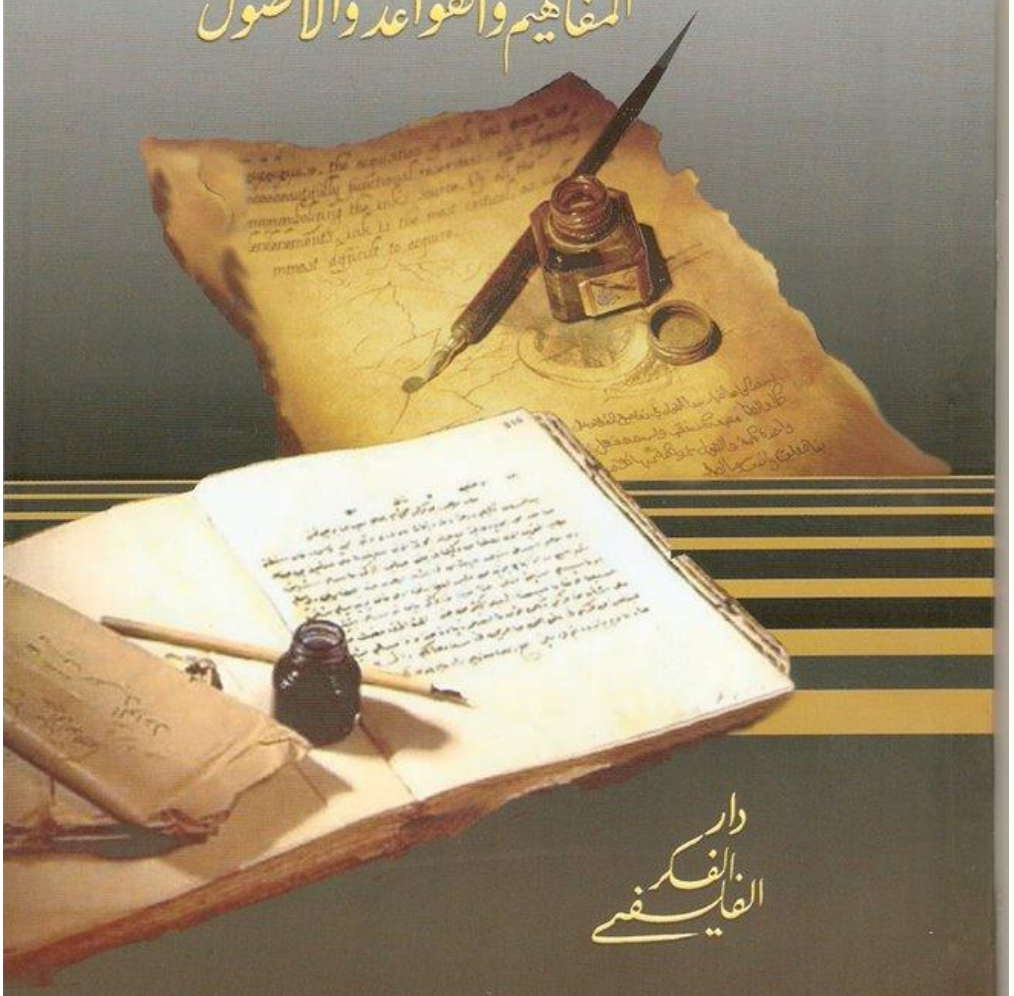

دار الفكر الفلسفي

الدكتور عزت السيد أحمد

كتابة البحث

المفاهيم والقواعد والأصول

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور عزت السيد أحمد

كتابة البحث

المفاهيم والقواعد والأصول

دار الفكر الفلسفي

دمشق 2011م

☆ الكتاب : **كتابة البحث.**

المفاهيم والقواعد والأصول.

☆ المؤلف : **الدكتور عزت السيد أحمد** .

☆ عدد الصفحات: ١٣٦ صفحة.

☆ قياس الصفحة: ب ٥ = ١٧ X ٢٤.

☆ تصميم الغلاف والأشكال الداخلية بريشة المؤلف.

☆ الطبعة الأولى: **٢٠١١م.**

☆ تمت عمليات التنضيد والإخراج في دار الفكر الفلسفي للدراسات والترجمة والنشر بدمشق.

☆ تمت عمليات الطباعة في دار الرفاعي للطباعة بدمشق. ومنها يطلب الكتاب على رقم الهاتف أو الفاكس التالي:

٠١١٢٢٢٥٩٥٩

☆ تطلب كتب دار الفكر الفلسفي من المكتبات المعتمدة لتوزيع كتبها أو على الناسوخ (الفاكس) المذكور أدناه.

☆ **الحقوق جميعها محفوظة.**

تمنع طباعة هذا الكتاب أو بعضَه بأيِّ وسيلةٍ من وسائل الطِّباعةِ والنَّشر والإعلام من دون موافقةٍ خطيَّة من النَّاشر أو المؤلِّف.

☆ النَّاشر: **دار الفكر الفلسفي.**

الإهداء

إلى

الباحثين عن الحقيقة

والمؤمنين بالحقيقة

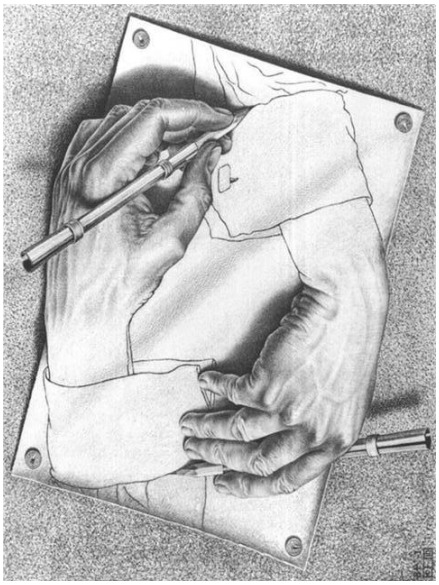

مُقَدِّمَة

هٰذا الكتاب هو الجزء الثَّاني من سلسلة فنون الكتابة وأصولها، صدر منها هٰذا الكتاب، وكذلك كتاب أسس التَّوثيق؛ نحو نظريَّةٍ عربيَّةٍ. وهناك ثلاثة كتب أخرى قيد الطِّباعة هي الطَّريق إلى الإبداع؛ نحو نظريَّةٍ جديدةٍ في الإبداع، وأيضاً كتاب؛ فنون الكتابة وأنواعها، وكتاب علامات التَّرقيم والرموز والاختصارات.

قبل الدُّخول إلى فصول أصول كتابة البحث وأسسه وضوابطه وشروطه واحتياجاته... وغير ذلك مما سنعرض له من أفكار ضمن الفصول ثَمَّةَ نقطةٌ أساسيَّةٌ تجدر بل تجب الإشارة إليها وتبيانها.

إذا كان الباحث يمارسُ ضرباً من ضروب الإبداع، كما سنبيِّن، فإنَّ كتابة البحث في حدِّ ذاتها هي عمليَّة إبداعيَّة لا تختلف في المبدأ عن أيِّ عمليَّةٍ إبداعيَّةٍ أخرى في أيِّ ميدانٍ من ميادين الإبداع الجمالي، تحتاج مثلها إلى ملكةٍ إبداعيَّة هي ما اتُّفق على تسميتها بالموهبة، كما تحتاج هٰذه الموهبة أَو المقدرة الإبداعيَّة البحثيَّة، مثل المواهب الأخرى، إلى امتلاك الأدوات المناسبة والكافية وصقل الموهبة وتربيتها وتنميتها... حَتَّى تتمكَّن من ممارسة نشاطها الإبداعي.

هٰذا يعني أنَّ كتابة البحث مسألةٌ غير قابلةٍ للتعلُّم أَو التَّعليم ما لم يمتلك من يريد كتابة البحث القدرات الإبداعيَّة التي تؤهِّله للقيام بهٰذه

العمليَّة. ناهيك فوق ذلك عن المقوِّمات الأخرى، التي سنتحدَّث عنها، التي يحتاجها الباحث مع امتلاكه القدرات الإبداعيَّة مثل الثقافة العامة والمعرفة الاختصاصيَّة والفهم والدربة وتحديد الغايات والأهداف إلى جانب صقل الملكة الإبداعيَّة وتنميتها.

إذن النُّقطة الأساسيَّة والتَّأسيسيَّة التي يجب أن ننطلق ومنها ونتَّفق عليها هي أننا لن نوزِّع المواهب في هٰذا الكتاب، كما لن نعلِّم كيفيَّة امتلاك الموهبة، لأنَّ الموهبة أمرٌ لا يعلم وربَّما لا تكتسب. وأظنُّ أنَّ كلَّ الكتب التي تتحدَّث في أصول البحث والكتابة إنَّما تقوم على هٰذا المبدأ، وأحسب كذلك أو أفترض أنَّ كلَّ الكتب التي هي من هٰذا القبيل تُصدَّر بمثل هٰذا التَّحذير لتجنيب القرَّاء من وَهْمِ أنَّ هذا الكتاب سيمكِّنهم من امتلاك المواهب الإبداعيَّة. هٰذه حقيقة لا يجوز تجاوزها من دون بيانٍ صريحٍ.

ولكن من جانبٍ آخر فإنَّ ممارسة العمليَّة الإبداعيَّة، أيًّا كانت طبيعتها وميدانها، إنَّما تقوم على مجموعةٍ من الأصول والضَّوابط والمعايير وحَتَّى المقاييس التي تجب مراعاتها. ومجموعةٍ مثلها تستحسن مراعاتها وأخذها بعين النَّظر والحسبان. ومجموعةٍ أخرى ثالثةٍ يمكن القول إنَّها شكليَّة من حيث أنَّ الالتزام بها لا يقدِّم كثيراً ولا يؤخِّر، إنَّها اللمسات الخاصَّة بالباحث أو المبدع، ولذلك هي ضوابط ومعايير خاصَّة بأصحابها، وقابلة للخضوع لوجهات النَّظر الخاصَّة التي تختلف من باحثٍ/مبدع إلى آخر.

إنَّ ما سنقوم به هنا هو عرض هٰذه الأصول والضَّوابط والمعايير، وما يلزم الباحث؛ ما يجب عليه، وما يستحسن منه، وما هو ضمن إطار الخيارات

الخاصَّة، وكذلك ما يساعد الباحث، وما ييسِّر عليه عمله... وكلُّ ذلك خلاصة خبرات وتجارب وتطورات عمليَّة البحث.

ما سنقدِّمه إذن يندرج في إطار عمليَّة صقل الموهبة الإبداعيَّة وتنظيمها وهي الخطوة التي لا بُدَّ منها لأيِّ باحثٍ/ مبدعٍ حَتَّى يتمكَّن من ممارسة العمليَّة الإبداعيَّة.

توزَّع الكتاب على مقدمة وخمسة فصول. وقفنا في الفصل الأوَّل عند مفهوم الباحث. رُبَّما زاد التركيز في هٰذا الفصل على الجانب الأخلاقي أكثر من غيره، وخاصَّة فيما يتعلق بالأمانة العلميَّة التي هي أكثر الشروط أهميَّة إذ يمكن تعلم أي شيء من أدبيات البحث وشروطه وأصوله ولكن لا يمكن تعلم الأخلاق. فإذا كانت الموهبة موجودة أو الرغبة سهل تعلم قواعد البحث وأصوله، ولكن إذا كان المرء خسيساً فلن تفلح الدروس في تنقية نفسه.

أما الفصل الثاني فقد تمَّ تخصيصه لمفهوم البحث من جهة التعريف والحجم والزمن والأنواع وغير ذَلِكَ مما يتَّصل بالمفهوم.

وفي الفصل الثالث تحدثنا على فنون الكتابة وأنواعها. تنقسم فنون الكتابة بالمطلق إلى نوعين متمايزين؛ فنون الكتابة الإبداعية، وفنون الكتابة البحثيَّة. ما يعنينا هنا هو فنون الكتابة البحثيَّة، وقد تحدثنا عن أنواعها الأساسيَّة الكبرى مثل البحث والدراسة والمقال والنقد والتحقيق والعرض وبقيت أنواع أخرى مثل الاختصار والتَّلخيص والشَّرح والتَّعليقات والحواشي فإنَّهَا متضمَّنةٌ نوعاً فيما سبق، وتقوم بغيرها ولا بذاتها.

الفصل المحوري هنا هو الفصل الخامس الذي حمل عنوان اختيار البحث وإعداده، إذ ثَمَّةَ معاناة في اختيار البحث والخطوات التي يمر بها. هناك شروط أساسيَّة في عملية اختيار البحث وهناك مراحل وخطى تالية بعد اختيار البحث من أجل التَّحضير والشُّروع في الكتابة.

الفصل الذي لا يقل أهميَّة ومحورية عن اختيار البحث وإعداده هو الاقتباس والتقميش، ذَلِكَ أنَّ القيام بهذه الخطوة على نحو سليم ومدروس يحقق للباحث أكثر من نصف عملية الإنجاز وكسب الوقت.

بقي أن نختم بما بدأنا به. نحن لن نوزع المواهب، نحن نكشف عما نراه أصولاً تيسير للمبتدئ والمتدرب عملية كتابة البحث.

الفصل الأول

من هو الباحث؟

عناصر الفصل

مقدمة

الموهبة

الفصل بَيْنَ بعض المفاهيم

اللغة جزء من البحث

الجدية والرسالة

الأَخلاقيات المهنية

الأَمانة العلمية

أَخلاق الباحث

خاتمة

* * *

عَظَمَـةُ المُبْـدِعِ فِـيْ عَقْلِـهِ وَقَلْبِـهِ
لا فِـــيْ يَـــدِهِ وَلا جَسَـــدِهِ.

مقدمة

إذا كان الباحث يمارسُ ضرباً من ضروب الإبداع فإنَّ كتابة البحث في حدِّ ذاتها عمليَّةٌ إبداعيَّةٌ لا تختلف في المبدأ عن أيِّ عمليَّةٍ إبداعيَّةٍ أخرى في أيِّ ميدانٍ من ميادين الإبداع الجمالي، تحتاج مثلها إلى مَلَكَةٍ إبداعيَّةٍ هي ما اتُّفق على تسميتها بالموهبة، كما تحتاج هٰذه الموهبة أَو المقدرة الإبداعيَّة البحثيَّة، مثل المواهب الأخرى، إلى امتلاك الأدوات المناسبة والكافية وصقل الموهبة وتربيتها وتنميتها... حَتَّى تتمكَّن من ممارسة نشاطها الإبداعي.

هٰذا يعني أنَّ كتابة البحث مسألةٌ غير قابلة للتَّعلُّم أَو التَّعليم ما لم يمتلك من يريد كتابة البحث القدرات الإبداعيَّة التي تؤهِّله للقيام بهٰذه العمليَّة. ناهيك فوق ذلك عن المقوِّمات الأخرى التي يحتاجها الباحث مع امتلاكه القدرات الإبداعيَّة مثل الثقافة العامة والمعرفة الاختصاصيَّة والفهم والدربة وتحديد الغايات والأهداف إلى جانب صقل الملكة الإبداعيَّة وتنميتها.

إذن النُّقطة الأساسيَّة والتَّأسيسيَّة التي يجب أن ننطلق ومنها ونتَّفق عليها هي أننا لن نوزع المواهب كما لن نعلِّم كيفيَّة امتلاك الموهبة، لأنَّ الموهبة أمرٌ لا يعلم ورُبَّما لا يُكتسب. وأظنُّ أنَّ كلَّ الكتب التي تتحدث في أصول البحث والكتابة إنَّما تقوم على هذا المبدأ، وأحسب كذلك أو أفترض أنَّ كلَّ الكتب التي هي من هذا القبيل تُصدَّر بمثل هذا التَّحذير لتجنيب القرَّاء من وَهْمِ أنَّ هذا

الكتاب سيمكِّنهم من امتلاك المواهب الإبداعيَّة. هذه حقيقة لا يجوز تجاوزها من دون بيانٍ صريحٍ.

ولكن من جانبٍ آخر فإنَّ ممارسة العمليَّة الإبداعيَّة، أيًّا كانت طبيعتها وميدانها، إنَّما تقول على مجموعةٍ من الأصول والضَّوابط والمعايير وحَتَّى المقاييس التي تجب مراعاتها. ومجموعةٍ مثلها تستحسن مراعاتها وأخذها بعين النَّظر والحسبان. ومجموعةٍ أخرى ثالثةٍ يمكن القول إنَّها شكليَّة من حيث أنَّ الالتزام بها لا يقدِّم كثيراً ولا يؤخِّر، إنَّها اللمسات الخاصَّة بالباحث أو المبدع، ولذلك هي ضوابط ومعايير خاصَّة بأصحابها، وقابلة للخضوع لوجهات النَّظر الخاصَّة التي تختلف من باحثٍ إلى آخر. وما سنقوم به هنا هو عرض أبرز هذه الأصول والضَّوابط والمعايير التي تلزم الباحث وتستحسن منه وتساعده وتيسِّر عمله... ولذلك سنتحاشى كثيراً من التَّفاصيل والتَّعريفات والمفاهيم لنقف عند المحطات الرئيسيَّة الكبرى التي تحاول الإحاطة بأكثر المسائل أهميَّة.

الموهبة

إذا كانت الموهبة نقطة تأسيسيَّة تجب مراعاتها وأخذها بعين النَّظر فإنَّ ما يجب أخذه بعين الحسبان أيضاً هو أنَّهُ لا يوجد جهاز كاشف للمواهب مثل جهاز كشف الكذب أَو الصِّدق، أَو مثل الإيكو الذي يكشف عن وجود الأجنة في الأرحام أَو عدم وجودها. ولذلك لا يحقُّ لأحدٍ أن يحكم مسبَّقا بعدم وجود الموهبة أَو القدرة الإبداعيَّة عند هٰذا الفرد أَو ذاك أَو حَتَّى عنده ذاته، وإنَّما يكون الحكم على ما بعد التَّجربة والتَّدريب والممارسة، يكون الحكم على الفعل بعد تمامه لا على ما يُتَوَقَّعُ من المرء.

هٰذا يعني أنَّ كلَّ إنسانٍ من الناحية النظريَّة هو مشروع باحث إذا توافرت له الشُّروط المطلوبة وحقَّق ما يتطلبه البحث من شروط ومتطلبات. فإذا ما تجاوزنا جانب الموهبة، التي لا بدُّ لها من صقل وتدريب ومحاولة وتجريب، أمكننا الوقوف عند النقاط التالية التي يمكن من خلالها تحديد مفهوم الباحث.

الفصل بَيْنَ بعض المفاهيم

من الواجب أن نبيِّن مسألة على غاية من الأهميَّة هنا وهي أنَّ الثَّقافة العالية التي هي شرط من شروط البحث لا تعني بحدِّ ذاتها امتلاك القدرة على البحث، فليس كلُّ من تثقف ثقافة عالية ومتمكِّنة أمكنه أن يكون باحثاً. وفي الوقت ذاته ليس كلُّ بارع في الحديث وعرض المعرفة قادراً على فعل ذلك من خلال الكتابة. ويقابل ذلك بالتَّعاكس أنَّهُ ليس كلُّ باحث قادراً على عرض معرفته شفاهاً عرضاً مناسباً؛ كثيراً ما عرفنا باحثين متميزين عاجزين عن إلقاء محاضرة جيِّدة أَو دون الجيدة، وكذلك كثيراً ما عرفنا متحدِّثين بارعين ومحاضرين متميِّزين ولكنَّهُم مع ذلك عاجزين عن كتابة بحثٍ صغيرٍ أَو كبيرٍ... وهٰذه أمورٌ عاديَّةٌ لا تقلِّل من شأن هٰذا أَو ذاك... ولكن أن يخلو المرء من ذٰلِكَ كلِّه ويتنطَّع للتَّصدُّر هاهنا وهناك فهٰذه هي المصيبة التي يصعب الصَّبر عليها.

اللغة جزء من البحث

المسألة التَّأسيسية الثَّالثة التي لا يجوز تجاوزها هي أنَّ اللغة ليست وسيلة تعبيرٍ أَو أداةً تعبيريَّةً وحسب وإنَّما هي جزءٌ صميميٌّ من البحث لأنَّ اللغة هي الصُّورة الحسيَّة للتَّجريدات

الذِّهنيَّة، أي اللغة الفكر وجهان لعملة واحدة لا انفصال بينهما على الإطلاق، ومن لا يمتلك لغةً سليمةً لن يستطيع أن يكتب نصًّا سليماً مهما بلغت موهبته الإبداعيَّة من براعةٍ وعظمةٍ. ولذلك يعدُّ امتلاك اللغة؛ مفردات وضوابط، الخطوة الأساسيَّة الأولى التي لا غنى عنها لكتابة البحث، ومن دونها لا يمكن ذلك. ومن يكتب من دون امتلاك اللغة يكتب كلاماً فقط لا نصًّا.

يجب أن نضع نصب أعيننا وأذهاننا جيِّداً أَنَّهُ من دون لغةٍ سليمةٍ لا قيمة لأيِّ فكرةٍ أو موضوعٍ أو مشروعٍ، لأَنَّهُ من دون اللغة السَّليمة لا يمكن التَّعبير الصحيح عنها، ولا معنى لأيِّ ادعاء بالذَّكاء أو الفطنة أو البراعة في خلق الأفكار لأنَّ أيَّ طفلٍ صغيرٍ يستطيع أن يخلق أفكاراً مدهشةً لا يستطيعها رُبَّما العباقرة أنفسهم.

الجدية والرسالة

المسألة التَّأسيسيَّة الرَّابعة التي تجدر الإشارة إليها هنا هي أنَّ كتابة البحث مسؤوليَّةٌ وجديَّةٌ واختصاصٌ مع ارتباط ذلك بالكفاءة والمقدرة من جهةٍ وبالرسالة أَو الغاية التي هي جزءٌ من مشروعٍ فكريٍّ أو أيديولوجيٍّ ينتمي إليه الباحث أَو يسعى إليه. ولا يجوز أن تكون الكتابة وكتابة البحث خاصَّةً كممارسة أيِّ هوايةٍ أو تسليةٍ، أو رغبةً في الظُّهور والشُّهرة، ولا أن تكون بدافع الغيرة... فالباحث صانع وعيٍ وقيمٍ ومعرفةٍ وثقافةٍ وهو تاريخٌ أو جزءٌ من التَّاريخ وليس لاعب

(بـــوكر) يلعـــب بالنكايـــة أو الغِـــيرة ويـــترك اللعـــب كرمـــى لعيـــون الشَّباب!!!

الأخلاقيات المهنية

المسألة الرابعة التي يجب الوقوف عندها هي الأخلاقيات المهنيَّة. الباحث مهما تميَّز هو في المحصلة إنسان كأيِّ إنسان له خصوصياته وأخلاقه وشخصيَّته... وهٰذا ما لا يعنينا هنا، إذ لا يوجد ما يلزم الباحث بأخلاق معيَّنة وإن كان هناك من تستحسن منه حسن الأخلاق. ولكن هناك جزءٌ من الأخلاق هو الأخلاق المهنيَّة هي الأخلاق الخاصَّة بالمهنة التي يمتهنها الإنسان، ولكلِّ مهنةٍ أخلاقها الخاصَّة، والبحث مهنة لها أخلاقها الخاصَّة أيضاً.

الأخلاق المهنيَّة في حقيقة الأمر صورةٌ من الأخلاق العامَّة. ولكِنَّها المنصبَّة على ما يتعلَّق بالبحث والباحث في إطار هذه الخصوصيَّة؛ أي صلة الباحث مع الباحثين الآخرين؛ السَّابق منهم والمعاصر واللاحق، ومع أبحاث وإنتاج هؤلاء الفكريَّة والإبداعيَّة، وهٰذا ما سنعود إليه بالتفصيل بعد قليل.

الأمانة العلمية

مما يرتبط بالأخلاق المهنيَّة مسألةٌ على غايةٍ من الأهميَّة هي الأمانة العلميَّة. والأمانة العلميَّة ممارسة أخلاقيَّة ومهنيَّة وعمليَّة يجب الالتزام بها ضماناً لحقوق الآخرين وضمانة لمكانة الباحث ذاته وقيمته. وإذا كانت الأمانة العلميَّة تختصر عند الكثيرين بتوثيق المقبوسات المأخوذة عن الآخرين توثيقاً صحيحاً أو دقيقاً فإنَّها أوسع من ذلك بكثير. إنَّها بمعناها العام نسب أيِّ فكرة أَو قول أَو

جهد استخدمه الباحث إلى صاحبه الأصلي أَو إلى المصدر الذي أخذ عنه ذلك بأمانة، أي عدم النَّسْبِ العشوائي أَو التَّضليلي أَو الكاذب إلى الآخرين لأيِّ غرض كان؛ التَّعظيم أَو التَّفخيم أَو التَّحقير أَو التَّشويه أَو التَّقزيم أو غير ذلك. ولذَلِكَ اخترع علم اسمه علم التَّوثيق الذي يضبط معايير التَّوثيق من أجل سهولة التَّتبُّع والتوثُّق من النَّسْبِ. وعلى أيِّ حالٍ فإنَّ لممارسة الأمانة العلميَّة وسائل وسبلاً كثيرة تخضع لاعتباراتٍ معيَّنِة.

هٰذا في إطار الأمانة العلميَّة أمَّا ما يتجاوز ذلك إلى السَّطو والسِّرقة فتلك مسألة أخرى تتجاوز كلِّ هٰذه الاعتبارات وتندرج تحت باب آخر.

أخلاق الباحث

إذا كان الروائي الروسي **چوركي** يعرف مثقفين يعانون من الرغبة في تلويث كلِّ ما هو جميل، فإنَّ الحاكم الذي جعل كلَّ الحكام من بعد يدفعون ضريبة عدله؛ **عمر بن الخطاب** يقول: «رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي... ومن وجد منكم فيَّ عوجاً فليقومه».

نحن هنا نتكلم عن أخلاق المبدع بالإطلاق، وإذا كان الباحث مبدعاً فإنَّ ما يصحُّ على الكلِّ يصحُّ على الجزء. ومن هٰذا الباب نتابع كلامنا في أخلاق الباحث بوصفها صورة من صور أخلاق المبدع. وهٰذا الحديث ضرورةٌ ملحةٌ إذ **كثيراً ما تصدرُ عباراتٌ أَو تساؤلاتٌ أَو تعليقات تمسُّ أَخلاق المبدعين، من قبيل: عيبٌ أَن يصدرَ مثلُ هذا عن شاعرٍ أَو أَديبٍ أَو مفكِّرٍ... و: يجب أَن يكون (المبدعُ) خلوقاً، ومن سمات الأَديب أَو (المبدع) أَن يكون كذا وكذا ... من الصِّفات الأَخلاقيَّة الحميدة .... وغير ذلك من عباراتٍ**

تفترضُ كون المبدعين متخلِّقين دائماً بالفضائل الأَخلاقيَّة واللباقات السُّلوكيَّة، بل ربَّما تكوَّن لدى النَّاسِ انطباعٌ مخالفٌ عن سلوكات المبدعين من حيث امتيازهم بنماذج شكليَّة وسلوكيَّة معيَّنة، غالباً ما تكون؛ إمَّا نائيةً عن المألوف أَو مغرقةً في تجاوز العادات والتَّقاليد والأَعراف السَّائدة في مجتمعاتهم. ولذلك دعونا نتساءل:

هل للمبدعين أَخلاقٌ معيَّنةٌ يمتازون بها عمَّن سواهم؟؟

الحقُّ أَنَّ قلَّةً قليلةً من الباحثين أَثارت مثل هذه المسألة في أَبحاثها عرضاً دون إفراد بحثٍ خاصٍّ لذلك، لأَنَّ المسألة بحدِّ ذاتها عَرَضيَّةٌ لا جوهريَّة: انطلاقاً من القاعدة القديمة القائلة بالأَخذ بالأَقوال دون الأَفعال ممَّن لم يتوافق فكره مع فعله من حيث الأَمر باقتفاء سلوكٍ معيَّنٍ دون تقيُّد الآمر بأَمره، فحلَّت المشكلةُ بقولهم:

« **خذوا بأَقوالي ولا تأخذوا بأَفعالي** ».

نعم، بهذه المقولة حُلَّ نصف المشكلة، وهو النِّصفُ المتعلِّقُ بجمهور المتلقِّين، وهذه مسألةٌ وإن كانت في موضع عدم الاتِّفاق أَو الإجماع، ولا تزال مثار نقاشٍ وجدل، فإنَّها على جانبٍ من المعقوليَّة، ذلك أَنَّ إصغائنا لموسيقى **بتهوڤن** . L.V. Beethoven، وتذوُّقنا لسحرها، وذوبان مهج النُّفوس بروائعها لن يتأثَّر البتَّة بتعامله النَّاشز عن الأَخلاق مع النَّاشرين. وكذلك الأَمر مع الموسيقيِّ الأَلمانيِّ **ساليري** . Salieri الذي كان يتلظَّى حسداً وحقداً على **موتسارت** . Mozart، ويكيدُ له ما استطاع من أَلوان الكيد. ولا تتأثَّر معايشتنا للوحات الرَّسام الفرنسيِّ **دونما** بسلاطة لسانه وحدَّته مع أَقرانه الرَّسامين. ولا تمنعنا بذاءةُ

بعض أَلفاظ **بشار بن برد والبحتري وجرير وديك الجنِّ الحمصي** عن تذوُّق الإشراقات الرَّائعة واللفتات السَّاحرة في أَشعارهم.

ولكنَّ المشكلة لا تكمن هنا، لأَنَّها لا تعنينا الآن كثيراً، وإن كانت مهمَّةً. وإنَّما الذي يعنينا: **هل يتأثَّرُ المبدع بالأَخلاق؟**

لا شكَّ في ذلك أَبداً، فالأَخلاق التي يعتنقها المبدعُ ويقودُ سلوكه على هديها تلعبُ دوراً مهمَّاً في توجيه نشاطه الإبداعي، وفي تحديد الأُطر التي يُعمل مخيِّلته فيها. ولكن من دون أَن يعني ذلك إمكان عدِّ هٰذه المقولة قاعدةً حتميَّةً صارمة؛ فـ **جان جينييه** ـ J.Genet الذي كان من مشاهير اللصوص والمارقين على القانون[1]، وقضى فترةً طويلةً من عمره في السُّجون، أَصبح من الأُدباء المرموقين في فرنسا وأَوروبا عامةً، وشغل السَّاحةَ الأَدبيَّة فترةً لا بأس بها؛ فأُعدَّت في أَفكاره مجموعةٌ من الكتب والرَّسائل الجامعيَّة.

ولا ننسى أَن نذكر هنا أَيضاً أَنَّ **برنار دان دو سان بيير** . B.Pierre صاحب رواية (**بول وفرجيني**) التي ترجمها أَديبنا **مصطفى لطفي المنفلوطي** ترجمةً بديعةً، كان سيئ العشرة مع أَهله وصحبه، فيما كانت روايته مفعمةً باللطف والحبِّ والبراءة.

---

[1] . يقدِّم جان جينييه في يوميَّاته نوعاً من التَّبرير لذلك فيقول: لا أُريد أن أُخفي في هذه اليوميَّات الأَسباب الأُخرى التي جعلت منِّي لصَّاً؛ أَبسط ما فيها الحاجة إلى الطَّعام، ولذلك فإن التمرُّد، أَو العنف، أَو الغضب، وكلُّ ما شابه ذلك، لم يكن بمحض اختياري البتَّة.

وفي إطار المنحى ذاته نقف مدهوشين يتملَّكنا الضَّحكُ والأَسف معاً عندما نعلم أَنَّ **جان جاك روسُّو** . J.J.Rousseau الذي وضع أَحدَ روائع المناهج التَّربويَّة وأَهمَّها، كان قد عهد بأَولاده إلى أَحد الملاجئ لأَنَّه لم يشعر بأَيِّ حبٍّ تجاههم، ولم يتمكَّن من العناية بهم.

وفي مقابل ذلك تماماً نجدُ طائفةً أُخرى من المبدعين كانت أَفكارهم ونتاجاتهم صدًى مباشراً لأَخلاقهم وظروفهم الاجتماعيَّة؛ فالبؤس والشَّقاء اللذان عاشهما **أَبو حيَّان التَّوحيديُّ**، ونزوعُه التَّشاؤميُّ وارستقراطيَّته الفكريَّة تجلت على نحوٍ واضحٍ في سلوكة وأَدبه وفكره، وانتهت به إلى إحراق كتبه وإنهاء حياته وحيداً غريباً. ومثله إلى حدٍّ جدٍّ بعيد كان شأن الكاتب التِّشيكيِّ **فرانس كافكا** ـ F.Kafka الذي أَوصى فيما أَوصى بإحراق كتبه، ولكنَّ المحامي تنكَّر لهذا الطَّلب ولم ينفِّذه؛ لهذه الكتب التي مثَّلت ترجمةً مباشرةً لما عاشه الكاتب من معاناة وأَلم حتَّى أَوشك أَن يجمع النُّقَّادُ على أَنَّ كلَّ ما كتبه **كافكا** ـ Kafka ليس إلاَّ انعكاساً مباشراً لسيرته الذَّاتيَّة المثقلةِ بالمرض والأَلم والمعاناة والإحباط والغراميَّات الفاشلة، التي لم يمهلها القدر طويلاً، فمات دون أَن يرى آثاره الكبرى منشورةً.

وتَشَاؤمُ **جيل دولوز** . Gilles Deleuze قاده إلى إلقاء نفسه من نافذة بيته العالية ليُنهي بذلك حياته وتشاؤمه. أَمَّا **أَناتول فرانس** . A.France فقد مثَّلَ أنموذجاً طريفاً للمنحى الذي نحنُ بصدده؛ لقد أَمرنا أَلاَّ نعيرَ كتبنا لأَحدٍ لأَنَّها لن

ترجع. وكان دليله على ذلك مكتبته الكبيرة التي استعار ما فيها من الأَصدقاء ولم يُعدها لهم.

وكثيرٌ من المفكِّرين قادتهم ميولهم وأَهواؤهم إلى تغيير عقائدهم الفكريَّة؛ مثل **ماكس شيلر** ـ M.cheler الذي تحوَّل عن المسيحيَّة الكاثوليكيَّة إلى وحدة الوجود. و**وايتهد** ـ Whitehead الذي طلَّقَ الوضعيَّة المنطقيَّة ليخوض بحار الميتافيزيقا. و**رينيه جينون** الذي اعتنق الإسلام مبكِّراً، ودافع عن العروبة والإسلام دفاعاً ماجداً، وعندما قرأه المفكِّرُ الفرنسي **أَندريه جِيْدْ** ـ A.Gide كتب في مذكَّراته:

ـ « ماذا كنتُ أُصبح لو قرأت مؤلَّفات **جينون** في شبابي؟ لقد قُضيَ الأَمر ولم يعُدْ بالإمكان عمل أَيِّ شيء».

ولا ننسى هنا شيخ الماركسيَّة الفرنسيَّة **روجيه چارودي** ـ Roger Garaudy الذي انتهى به المطاف إلى إعلان إسلامه منذ سنوات ملأَها بشرح الإسلام والدِّفاع عنه، ثمَّ تنكَّر لذلك كلِّه منذ شهور معلناً أَنَّه لم يُسلم أَبداً، وإن كان قد لمح في لقاءٍ قريبٍ أَنَّه يتعرَّضُ لضغوطٍ معيَّنة بسبب موقفه من اليهود[٢]. الأَمر الذي يقودنا إلى إمكان سلوك المبدع سلوكات معيَّنة تتنافى مع ميوله وأَهوائه بسبب تعرُّضه لضغوطٍ معيَّنة كما حدث مع الكاتبة الفرنسيَّة الشَّهيرة **كوليت** ـ S.G Colette التي دفعتها قسوة الضُّغوط المادِّيَّة؛ (الماليَّة) بعد طلاقها من زوجها إلى امتهان (الستربتيز ـ التَّعرِّي) في نوادي باريس الليليَّة، ولكنَّها كانت ما تكاد

---

[٢] . روجيه چارودي: **أَنا واليهود والصُّهيونيَّة والإسلام وإسرائيل**؛ حوارٌ أَجراه علي الشُّوباصي . ضمن مجلَّة المصوَّر . القاهرة . العدد ٣٧٣٦ . في ٢٩ ذو الحجَّة ١٤١٦هـ/١٧ مايو ١٩٩٦م.

تنتهي فِقْرَتُها حتَّى تجلسَ إلى أَوراقها في النَّادي ذاته لتدبِّج روائعها، ومنها رواية (المتحوِّلة) التي بقيت في ذاكرة الشَّعب الفرنسيِّ حتَّى اليوم.

ومن المبدعين الذين كانت أَفكارُهم صدًى مباشراً لأَخلاقهم الفيلسوف الأَلماني المتشائم **آرثر شوبنهور** . A.Schopenhauer الذي لم يستطع احتمال نجاح **هيچل** . Hegl؛ مواطنه وزميله في التَّدريس بجامعة برلين، فترك التَّدريس وعكف يردِّد: . «**أَتصوَّر يقضمني الدُّود ولا أَتصوَّر أَساتذة تاريخ الفلسفة يشرحون فلسفتي**».

إنَّ حالة **شوبنهور** . A.Schopenhauer هٰذه تقودنا إلى حالةٍ سلوكيَّةٍ أَخلاقيَّة إن لم تكن منتشرةً بين المبدعين فإنَّها غير منتفية، وهي حالةُ غلوِّ الغيرة والحقد والحسد من نجاح الرُّصفاء والأَقران. ونعود هنا فوراً إلى تذكُّر الموسيقار الأَلماني **ساليري** . Salieri الذي كانت تأكله نار حسده **موتسارت** . Mozart فيكيدُ له ما استطاع من الكيد وأَلوانه. ونتذكَّرُ أَيضاً حقد **أَبي فراس الحمداني** على **المتنبِّي** الذي قاده إلى تتبُّع سقطاته وهفواته وسرقاته، والكيد له عند **سيف الدَّولة**. وكذلك المشاحنات العنيفة بين **طه حسين ومصطفى صادق الرَّافعي**. وخصومة **عبَّاس محمود العقَّاد وأَحمد شوقي**، وغير ذلك كثير...

ومن طرائف الخصومات في التُّراث العربي تلك التي كانت بَيْنَ **محمَّد بن يزيد المبرِّد**؛ إمام مذهب البصريِّين في النَّحو و**أَبي العبَّاس أَحمد بن يحيى ثعلب** إمام مذهب الكوفيِّين في النَّحو؛ اللذين ضربت الشَّحناءُ بينهما حتَّى صارت مضرباً للمثل بَيْنَ النَّاس في التَّدابر والتَّنافر، فقال أَحد شعراء الغزل واصفاً ما بينه وبَيْنَ عشيقته:

نَــرُوْحُ وَنَغْــدُو لا تَــزَاوُرَ بَيْنَنَــا
وَلَــيْسَ بِمَضْــرُوْبٍ لَنَــا مِنْــهُ مَوْعِــدُ
فَأَبَــدْانُنَا فِــيْ بَلْــدَةٍ وَالتِقَاؤُنَــا
عَسِــيرٌ كَأَنَّــا ثَعْلَــبٌ وَالـمُــبَرِّدُ

هٰذه بعضُ نماذج من أَخلاق المبدعين، وهي، معظمها، لا تعدو اندراجها ضمن باب طرائف أَخلاق المبدعين وسلوكاتهم المتعلِّقة بأَمزجتهم الخاصَّة التي تقودهم نحو ضروبٍ من السُّلوك تبدو غريبةً بعض الشَّيء، شأنها في ذَلِكَ شأن التَّقليعات أَو (الموضوات)، والتَّرسيمات أَو (البريستيجات) الخاصَّة التي يحاول المبدعون أَن ينسجوها حول أَنفسهم ليظهروا متفرِّدين بها؛ من حيث اللباس والشَّكل وإطالة الشَّعر أَو تقصيره بطرقٍ ملفتةٍ للانتباه. أَو اتِّخاذ أَساليب خاصَّةٍ متميِّزةٍ في التَّدخين والطَّعام والشَّراب وغير ذَلِكَ... ومن كثيرين أَلمحوا إلى ذَلِكَ الرِّوائي الكبير **إرنست همنچواي** . E. Hemingway الذي قال: «كان **ويندهام لويس** . Wyndeham Lewis مغرماً بارتداء قبَّعةٍ سوداء، عريضة ... ويرتدي ملابس تجعله أَشبه بالشَّخصيَّة البوهيميَّة . La Bohéme ... آنذاك كنَّا نعتقد أَنَّ في مكنة الرَّسَّام أَو الكاتب أَن يرتدي أَيَّ شيء، وأَنَّه لم يكن ثمَّةَ زيٌّ رسميٌّ للفنَّان»[٣].

وهٰذا كلُّه ممَّا يذكِّرنا بالقصص الأكثر طرافةً وغرابةً من قصص أو نماذج المزاج الخاصِّ للمبدعين الَّتي رُبَّما تقف رأسها قصَّة الفنَّان العالميِّ **ڤان كوخ** .

[3] - Hemingway, E: A Moveable Feast. Charles Scribnev's sons. 1964.

V. Coch الذي قطع أُذنه الطَّويلة وقدَّمها هديَّةً لمعشوقته لأَنَّها قالت له في إحدى الحفلات ممازحةً: «**أُذنك جميلةٌ**». ومثل هٰذه القصَّة إِلَى حدٍّ ما، كانت قصَّة الفنان الروسي **نيكولاي بيرسمالي شيڤللي** الذي باع كلَّ ما يملكه من متاع الدنيا ليشتري به كميَّة هائلة من الورد، ويفرش هٰذا الورد على الشَّارع الذي يقع عليه بيت امرأة أحبها.

أمَّا **بول إيلوار** الذي رُبَّما لم يحب امرأة بعينها فقد كان لا يمل من التَّطواف على المتاحف للتَّلذذ بالتَّماثيل العارية.

ومن طرائف هٰذه القصص وأغربها تلك الَّتي جادت بها قريحة إمام السِّرياليَّة وعظيمها **سلڤادور دالي**. Salvador Dali الذي كان يرسم لوحاته في حوض السباحة، ورُبَّما لا يكون هٰذا غريباً إِلَى الحدِّ الذي يستدعي الوقوف عنده، لكن إذا تذكرنا الاحتفال الذي خصصته له بلدية باريس وجدنا أنفسنا أمام مشهدٍ كاريكاتيريٍّ ينتزع منا الضَّحك، فقد جاء إِلَى الاحتفال فوق عربة محملةٍ بالملفوف (الكرمب). وإذا استحضرنا حفلة افتتاح أحد معارضه وجدنا أنفسنا أمام كثيرٍ من الشُّكوك والتَّساؤلات، فقد طال انتظار ضيوفه له لافتتاح أَحدِ معارضه مرَّةً، ليتفاجئ الجميع بعد طول انتظار بدخول أَربعةٍ يحملون تابوتاً ويضعونه وسط الجميع، وبعد لحظات من الصَّمت والوجوم فُتح التَّابوت ليفاجئ **دالي** الجميعَ ثانيةً بخروجه منه عارياً تماماً؛ وكأَنَّه يضيف إلى معرضه لوحةً سرياليَّة جديدةً، ولكن من نوعٍ آخر.

وبمثل طرافة **ڤان كوخ** ـ V.Coch **وسلڤادور دالي** . إلى حدٍّ ما ـ كانت قصَّةٌ أُخْرَى لشاعرنا **الحطيئة** الذي اشتُهر بالهجاء حتَّى لم يسلم من لسانه أَحدٌ أَبداً؛ حتَّى أُمَّه وأَباه، بل هو نفسه لم يسلم من سلاطة لسانه، يقول:

أَبــتْ شـــفتاي اليــومَ إلاَّ تكلُّمــاً
بهجــوٍ ولا أَدري لمــن أَنــا قائلــهْ
أَرى لــيَ وجهــاً قــبَّحَ اللهُ خــلقَهُ
فقُــبِّحَ مــن وجــهٍ وقُــبِّحَ حاملــه

أمــا الأكثــر غرابــة مــن ذلــك كلــه فهــو أن نعلــم أنَّ **رامبــو** رائــد الحداثــة الشــعريَّة في العــالم كــان يمســح حــذاءه بمناديــل مســح الوجــه. وكــذلك نظــيره في ريــادة الحداثــة الشــعريَّة **بــول ڤــاليري** الــذي كــان يتغوَّط على الطَّاولة على مرأى من الناس.

وعلــى العمــوم فــإنَّ ذلــك كلَّــه لــيس إلاَّ نتفــاً لا يُمكــن إلاَّ أَن يوجــد مثلُهــا عنــد بعــض المبــدعين لأَنَّ مــثلهم مثــل النَّــاس؛ كــلِّ النَّــاس، يوجــد فــيهم المليــح والقبــيح، ولا يمكــن أَن يكــون الجميــعُ أَصــفياء أَتقيــاء أَنقيــاء مــن أَيِّ شــائبةٍ. ولكــنَّ الحالــة الأَعــمَّ والأَكثــر تشــريفاً هــي النَّقــاء الأَخلاقــي والالتــزام بالمبــادئ المعتنقــة التزامــاً صــميميًّا، ولــو أَردنــا أَن نعــدَّ ونحصــي مــن ينطبــق علــيهم ذلــك مــن المبدعين لاحتجنا إلى محاضرةٍ خاصَّةٍ وربَّما كتابٍ خاصٍّ.

ولكنَّنــا لا نســتطيعُ إلاَّ أَن نــذكرَ أَنَّ **بِرونــو** ـــ G.Bruno أُحــرقَ حيًّــا ولاءً لمبادئــه وأَفكــاره، ودفاعــه عنهــا. مقتفيــاً بــذلك ســيرة **ســقراط** ـــ Socrates؛ شــهيد الفلســفة الــذي حُكــم عليــه ظلمــاً بالإعــدام تجرُّعــاً للسُّــمِّ، ولكــنَّ تلاميــذه الــذين أَحبُّــوه وآمنــوا بــه لم يقتنعــوا بــذلك فهيَّــؤوا لــه ســبل الفــرار، ووفَّــروا وســائل عيشــه في

تساليا، وكان الفِرار مستطاعاً، وكان العرف يعذرُ الفارَّ في مثل هذه الحال، ولكنَّه أَبى أَن يهرب، ورفض الخروج على قوانين بلاده، فالقوانين سياج الدَّولة؛ فلئن ظلمه الأَثنيُّون فبأيِّ حقٍّ يستهينُ هو بالقوانين ويظلمها؟؟ ثمَّ كيف يهرب وهو لم يغادر أَثينا قطُّ إلاَّ للحرب دونها، وقبل ذلك كلِّه فإنَّ هروبه يعني تخلِّيه عن مبادئه وهو لم يتخلَّ عنها[٤].

ونذكرُ أَيضاً جدِّيَّة **هيجل** ـ Hegel وصرامته التي كانت متوافقةً مع فكره وفلسفته. وقبله حِيكتْ قصصٌ تشبه الأَساطير عن أَخلاقيَّات **كانت** ــ Kant ، ودقَّته في مواعيده حتَّى قالوا: إنَّ النَّاس كانت تضبط ساعاتها على بَرَامِجِ **كانت** ـ Kant ومواعيده. وبعدهما **أُوكتاف هاملان** . O.Hamelin الذي ذهب للانتجاع فمات غرقاً لأَنَّه . وهو لا يجيد السِّباحة ــ رأى شخصين يغرقان فلم يستطع إلاَّ أَن يحاول إنقاذهما، فمات معهما.

ونذكر من روائع قصص التُّراث العربي ما نقله **ابن خِلِّكان** عن **الجهشياري** في كتابه أَخبار الوزراء من أَنَّ **عبد الحميد الكاتب** قد طُلب عند انقراض الدَّولة الأَمويَّة ومطاردة بني العبَّاس للأَمويين وأَنصارهم بالقتل والتَّشريد، وكان **عبد الحميد** صديقاً **لابن المقفَّع**، ففاجأهما الطَّلبُ وهما في بيت **عبد الحميد**، فقال الذين دخلوا عليهما:

---

[٤] . قصَّة إعدام سقراط مشهورةٌ جدًّا بفضل تلميذه أَفلاطون الذي سرَدَهَا بنثرٍ فاق الشِّعرَ رقَّةً وروعةً، وهي مرويَّةٌ في جلِّ كتب تاريخ الفلسفة، ولا سيَّما الفلسفة اليونانيَّة.

. أَيُّكما **عبد الحميد؟**

فقال كلٌّ واحدٍ منهما: أَنا.

خوفاً من أَن ينال صاحبه مكروه. وخاف **عبد الحميد** أَن يسرعوا إلى **ابن المقفَّع** فقال:

. ترفَّقوا بنا، فإنَّ لكلٍّ منَّا علامات، فوكِّلوا بنا بعضكم ويمضي الآخرون ويذكروا تلك العلامات لمن أَرسلكم.

ففعلوا، وأَخذوا **عبد الحميد** إلى حيث لقي حتفه.

والحقُّ أَنَّ لأَخلاق المبدعين، والباحثين منهم أيضاً، وظيفةً، ودوراً، وتأَثيراً في نُفوس الجماهير، فكلَّما كانت أَخلاق المبدع محمودةً كان قريباً من قلوب النَّاس، وكلَّما ساءت أَخلاقه ومالت إلى النُّشوز والضِّعة كان في الأَغلب الأَعمِّ بعيداً عن قلوب الجماهير، حتَّى وإن كان ما يبدعه غايةً في الرَّوعة، وأَمثلة ذلك كثيرةٌ نجدها في واقعنا وفي واقع غيرنا، فما نكاد نسمع عن مبدعٍ أَنَّه مدمنُ مخدِّرات مثلاً، أَو أَنَّه منافقٌ أَو كذوبٌ، أَو غير ذَلِكَ، حتَّى يغزو قلوبنا الخوف من محبَّته، ونبدأ بالنُّفور منه دفعةً أَو شيئاً فشيئاً. ومن ذلك على سبيل المثال نذكر أَنَّ كثيراً من المثقَّفين نفروا من **ماركس** ــ Marx عندما علموا إجابته لأَحد سائليه عن **هيجل** ــ Hegel قائلاً: «ذاك الكلب الذي يمشي في شوارع برلين أُستاذي»، وعدُّوا ذلك نذالةً. ذلك أَنَّ المبدعين هم القدوة التي تحتذى، فإذا ما لمحنا في قدوتنا نشوزاً أَو انحرافاً سارعنا في التَّشكيك في أَهليَّة هٰذه القدوة، و«هٰذه الوظيفة الرَّمزيَّة كانت أَحد أَسباب ردود الفعل العنيف

إزاء تسجيلات؛ (ووتر جيت) المتعلِّقة بأَحاديث الرَّئيس الأَمريكي **نيكسون** ـ R. Nixon الخاصَّة مع مستشاريه؛ لقد ذُهل العديد من الأَمريكيِّين عندما اكتشفوا أَنَّ أُمَّةً تدَّعي الأَخلاقيَّة في الشُّؤون الدُّوليَّة يحكمها شخصٌ معاييره الأَخلاقيَّة ليست فوق مستوى الشُّبهات، وبمصطلحات **هوبز** . Hobbes: فإنَّ تلوُّث رأس الأُمَّة يكون نذيراً بفساد الأُمَّة»[٥].

ولذلك نجدنا مصرِّين على ضرورة تحلِّي المبدع والباحث بالقيم الأَخلاقيَّة الإيجابيَّة أَو الفضائل أَو الأَخلاق الحسنة المحمودة بَيْنَ النَّاس، وارتفاعهم دائماً عن الشُّبهات كيما يظلَّ للمبدعِ احترامه ومكانته وأثره الرِّيادي والقيادي في المجتمع والأُمَّة، وفوق ذلك أَن يكون أَهلاً للمسؤوليَّة الملقاة على عاتقه تجاه مجتمعه وتجاه الإنسانيَّة جمعاء، لأَنَّ المبدعين هم أَعلام الأُمم، ومراكز الإشعاع فيها، فليكونوا على قدر هذه المسؤوليَّة التي وضعوا أَنفسهم في صدارتها، وحمَّلهم المجتمعُ إيَّاها. ومن أَراد أَن يكون خلاف ذلك فلا شيء يمنعه، كما لن يحول دون تقديمه الرَّوائع. ولكن ليضعَ الجميعُ في الحسبان أَنَّ التَّاريخ لا يرحمُ ولا يُماري وإن أَصرَّ التَّاريخ على ذكر الجميع فإنَّ المنطق والعقل لا يقبلان المقارنة بَيْنَ **عمر بن الخطَّاب** و**نيرون** ـ Nero. ولا بَيْنَ **ماكسويل** ـ J.C.Maxwell الذي أَتلف أَوراق اكتشاف نقل القدرة الكهربائيَّة بدون أَسلاك خشية تسخير ذلك لأَغراضٍ غير سلميَّة، وبين مخترع القنبلة الذَّريَّة الذي جعل العالم منذ

---

[٥] . دين كيث سايمنتن: **العبقريَّة والإبداع والقيادة**. ص ١٠٠.

اختراعها يتقلَّب في متاهات هواجس الرُّعب. وهلمَّ جرًّا من هذه الأَسماء والأَفعال. فاحرصْ عَلَى أَلاَّ تضع في تاريخك إلاَّ ما يُشرِّفك ذكرُه على الزَّمان.

الفصل الثاني

مفهوم البحث

عناصر الفصل

مقدمة

أولاً: تعريف

ثانياً: حجم البحث

ثالثاً: مدة البحث

رابعاً: منهج البحث

خاتمة

* * *

كُـلُّ وِعَـاءٍ يَضِـيْقُ بِمَـا فِيْـهِ،
إلاَّ العِلْـمُ فإنَّـه يتَّسـع!

عليُّ بن أبي طالب

مقدمة

ثَمَّةَ الكثير من التَّساؤلات والإشكالات التي يثيرها الباحثون أنفسهم وغيرهم من النُّقَّاد والصحافيين... تتناول طبيعة البحث ومفهومه وحجمه وأمور أخرى كثير من هذا القبيل الذي يدخل في عمومه في إطار التعريفات.

رُبَّما تبدو هٰذه المشكلات للكثيرين تافهة لا معنى لها، ويرى آخرون أنَّها بداهات عند المختصين وأن من يجادلون فيها هم من لا علاقة لهم بالأمر أَو لا يفهمون فيه. ويرى كثيرون غيرهم أنَّها أساسيَّة صميمَّة لا بدُّ من تحديدها وضبطها وإخضاعها للمقاييس... ورُبَّما نجد وجهات نظر أخرى منها ما هي جديرة بالوقوف عندها ومنها ما يبدو فيها غرض المماحكة لا أكثر.

أولاً: تعريف

لا ينفصل المفهوم في دلالته الاصطلاحية عن دلالته اللغويَّة إلا في مستوى التعين والتحديد وميدان الاصطلاح ورُبَّما بعض الخصوصيات الأخرى في بعض الأحيان. ولذلك لا عجب في أن نبدأ من الدَّلالة اللغويَّة.

البحث في لسان العرب «أن تسأل عن شيءٍ، وتَسْتَخْبِر» أي هو استقصاء يطال ما يتعلَّق بأمر أَو شيءٍ ما. والاسْتِبْحَاثُ والابْتِحَاثُ والتَّبَحُّثُ عن الشيء كلها تعني التفتيش عنه. وبهذا المعنى تقريباً عرَّف **رومل** . Rummel

البحث بأَنَّهُ «تقصي أو فحصٌ دقيقٌ لاكتشاف معلوماتٍ جديدةٍ ونمو المعرفة الحالية والتَّحقق منها»[٦].

ولذلك تستخدم كلمة البحث في مختلف الميادين وبمضافات مرتبطة بميادين البحث فنقول: البحث الأدبي، البحث العلمي، البحث الأكاديمي، البحث النظري، البحث العملي، البحث الميداني، البحث التَّاريخي... وغير ذلك كثير من التراكيب المتشابهة أَو المتداخلة أَو المتقابلة. وفي إطار الثقافة الغربيَّة تستخدم كلمة البحث في ميادين مهنيَّة «فالبحث قد يكون الوثيقة التي يعدها المحامي ويقدِّمها للمحكمة، وقد يكون أيضاً تقريراً في موضوعٍ معيَّنٍ وضعته إحدى الإدارات في إطار إجراءات تؤخذ على ضوئها القرارات»[٧].

على الرَّغْمِ من أنَّ هذا الاستخدام الأخير لمفهوم البحث لا يبتعد أبداً عن الدلالة اللغويَّة في اللسان العربي إلاَّ إنَّهُ غير شائع في ثقافتنا العربيَّة، فنحن لا نسمي الورقة أَو التقرير الذي يقدِّمه المحامي بالبحث وإنَّما نسميه بالمرافعة، وكذلك شأن ورقة العمل أَو التقرير الذي تضعه إدارة ما وإنَّما يسمى ذلك غالباً بالتقرير أَو الدراسة.

إذا انتقلنا إلى الجانب أَو البعد الاصطلاحي لكلمة البحث لم نجد البون الكبير بَيْنَ الدَّلالة اللغوية والدَّلالة الاصطلاحيَّة إلا في الضبط والتحديد، فإذا كان البحث في المفهوم العام والشَّائع هو التفتيش والتَّنقيب بما يقوم عليه ذلك

---

[٦] . أحمد عبد الله الصباب: **أساليب ومناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية** . دار البلاد للطباعة والنشر . جده .١٩٩٢م . ص٢٨.

[٧] . جمال مصطفى العيسوي وآخرون: **البحث العلمي في كليات المعلمين بالمملكة العربية السعودية** . مركز البحوث التربوية بجامعة الملك سعود . الرياض . ١٩٩٨م . ص ٦.

من سؤال ومناقشة ومحاجة وجدال للوصول إلى ما يُبْحَثُ عنه أو يُفَتَّشُ عنه. فإنَّ البحث بالمعنى الاصطلاحي هو الجهد الذي يبذله الباحث أَو فريق الباحثين في عرض موضوع ما عرضاً غائيًّا، قد يكون هٰذا العرض شفهيًّا ولكنَّهُ في الشائع والمتداول أن يكون العرض في نصٍّ مكتوب وفق معايير خاصَّة.

ليس أيُّ عرضٍ بحثاً بالتَّأكيد، ولذلك يجب أَو يفترض على الأقلِّ أن يتضمَّن العرض أموراً معينة أو بعضها مثل إعادة عرض فكرة أَو موضوع عرضاً يزيد في توضيح ما كان غامضاً، أو من وجهة نظر مخالفة، أو عرض كشف فكريٍّ، أو إثبات أو نفي فكرة... أي إنَّ للبحث غاية هي الوصول إلى شيءٍ أَو أمرٍ ما هو المطلب الذي دفع الباحث أو فريق البحث للبحث. ويكون هذا المطلب غالباً إثبات أو نفي فكرةٍ، ويمكن أن تكون هٰذه الفكرة رؤيَّة أَو فرضيَّةً أَو نظريَّةً أَو موقفاً.

ولكن هٰذا التَّعريف ليس الوحيد، وعدم كونه وحيداً لا يعني وجود اختلافات بَيْنَ التَّعريفات، فهي كلها تدور في فلك الفكرة السَّابقة بألفاظٍ مختلفةٍ، من ذَلِكَ مثلاً **أحمد عبد الله الصباب** الذي عرفه بأَنَّهُ «الوسيلة للوصول إلى تطوير المعرفة بطريقةٍ منتظمةٍ، وطريقة إيجاد حلول لمشكلات التَّغيير في مختلف النَّواحي لكي يسير المجتمع في سبيل التَّقدم ويحقِّق ما يصبو إليه»[٨]. ولم يبتعد **جمال العيسوي** عن هٰذا التعريف إذ رأى أَنَّهُ «نشاطٌ علميٌّ منظَّمٌ يقوم به الباحث أو مجموعة الباحثين بقصد حلِّ ما يواجههم من مشكلات، أو اكتشاف معلوماتٍ أو علاقاتٍ جديدةٍ، أو تطوير أو تصحيح أو تحقيق ما هو

[٨] . أحمد عبد الله الصباب: **أساليب ومناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية** ـ ص٢٨.

كـائنٌ بالفعـل، باسـتخدام مـا يتناسـب وطبيعـة المجـال البحثـي مـن منـاهج وأدوات»[٩].

إذا انتقلنـا إلى الثقافـة الغربيـة وجـدنا التعريفـات ذاتهـا تقريبـاً مـن جهـة المبـدأ، ومـن ذَلِـكَ علـى سـبيل المثـال تعريـف **ڤـان دالـين ـ** Van Dalen للبحـث بأَنَّـهُ «المحاولـة الدَّقيقـة النَّاقـدة للتَّوصُّـل إلى حلـولٍ للمشـكلات الـتي تـؤرِّق الإنسـان وتحـيره»[١٠]. بينمـا ذهـب **تكمـان ـ** Tuckman إلى أنَّ البحـث هـو: «محاولـةٌ منظَّمـةٌ للوصـول إلى إجابـاتٍ أو حلـولٍ للأسـئلة الـتي تواجه الأفراد والجماعات في مختلف مجالات حياتهم»[١١].

ثَمَّةَ توافق عامٌّ من خلال كل التعريفات على أنَّ للبحث غاية أساسيَّة ليست وحيدة وهي إيجاد حلول لمشكلة أو مشكلات تواجه الإنسان أو الإنسانية، أي يمكن أن تبدأ المشكلة فردية أو من حالة شخصيَّة، ولكنَّهَا يجب بالتأكيد أن تتجاوز الشخصي إلى الإنساني، لأنَّ المشكلة الشخصية تظل شخصيَّة.

ثانياً: حجم البحث

إذا لم يكن ثَمَّةَ خلافٌ كبير في تحديد مفهوم البحث فإنَّنا أمام الكثير من الرُّؤى والاجتهادات في حجم البحث. ويصعب في معظم حالات الاختلاف هذه معرفة مدى صلاحيَّة هذا المرء أَو الباحث أَو الناقد في وضع القوانين التي

---

[٩] . جمال مصطفى العيسوي وآخرون: **البحث العلمي** . ص ٦ .

[١٠] . فان دالين: **مناهج البحث في التربية وعلم النفس** . ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٧٧م . ص٢٠ .

[١١] . جمال مصطفى العيسوي: **البحث العلمي** . ص٦ .

يريد بها إلزام الباحثين بما يراه هو صحيحاً أو بما تعلمه على أنَّهُ الصحيح ووقف عنده على أنَّهُ القانون الناظم لحركة الوجود.

الباحثون الحقيقيون كالشعراء الحقيقيين والروائيين... يعرفون ميدان عملهم وطبيعته وخصائصه. يعرفون ماذا يفعلون... ولذلك لم يفكِّر أحدٌ منهم في تقييد نفسه أو غيره بما لا يجوز له على غيره.

البحث في حقيقته كالقصيدة تنتهي عندما تنتهي، أي تنتهي القصيدة عندما يقول الشَّاعر في هٰذه القصيدة في ما يريد أن يقوله في هٰذه القصيدة. ولننتبه بدقَّة إلى هٰذه الفكرة التي سنعيد صوغها بتبديل القصيدة بالبحث.

إنَّ ما يحكم عدد صفحات البحث هو ما يريده الباحث من هذا البحث مع ارتباط ذلك بطبيعة موضوع البحث، أي ينتهي البحث عندما يقول الباحث ما يريد أن يقوله في هٰذا البحث. وفي هٰذا التحديد نقطتان أساسيَّتان هم قول الباحث والبحث. فما يريد أن يقول الباحث كثير ورُبَّما كثير جدًّا ولكنَّهُ بالتأكيد لا يريد أن يقول كلَّ شيء في هٰذا البحث، إنَّهُ يريد أن يقول فيه أشياء محدَّدة معينة. وكذلك البحث الذي يكتبه الباحث فإنَّهُ مرتبط بمن يكتبه لأنَّهُ من المحتمل أن يقوم بكتابة البحث ذاته أكثر من باحث من أكثر من انتماء؛ سياسي أَو أيديولوجي أَو جغرافي أَو اختصاصي أَو عمري... وكلُّ واحدٍ من هؤلاء يريد أن يقول أشياء غير التي يقولها غيره أَو أقل أَو أكثر أَو مخالفة لها تماماً. ولذلك نجدنا أمام عشرات الأبحاث التي تحمل العنوان ذاته التي

كتبها أشخاصٌ مختلفون ومع ذلك عندما نتصفح هٰذه الأبحاث نجد أنَّ كلَّ بحث منها يتناول أفكاراً مختلفة عن غيره وبأساليب أخرى مغايرة وتصنيفات وعناصر غير الموجودة في الأبحاث الأخرى. وكذَلِكَ في شأن عدد الصَّفحات التي قد لا نجد فيها بحثين يتفقان في عدد الصفحات أَو الكلمات؛ رُبَّما تبدأ بعشر صفحات وتمرُّ بالعشرين والثلاثين والأربعين لتصل إلى أن تكون كتباً في مئات الصفحات.

ومع ذلك لا بُدَّ من التحديد في بعض الأحيان. والتَّحديد هنا بالتَّأكيد ليس موجهاً للباحثين المحترفين وإنَّما هو موجهٌ للمبتدئين أَو المتدربين لتحديد آليات عمل وتنفيذ خطوات تدريبيَّة وليس لمحاصرة الطالب أَو الباحث المبتدئ بعدد محدَّد من الصَّفحات.

طالما أنَّ الغاية تدريبيَّة لا أكثر فإنَّ الذي يحكم عدد الصفحات أَو على الأصح حجم البحث هو الغاية التدريبيَّة والمستوى التَّدريبي من جهة، ومن جهةٍ ثانيةٍ ما يقرِّره المشرف على التَّدريب الذي يجب أن يكون باحثاً محترفاً على ضوء ما يريد ويقدره في المتدرب. وعلى ضوء ذلك يمكننا أن نصنف الأبحاث التدريبيَّة من وجهة نظر إلى صنفين كبيرين؛ الأبحاث التدريبيَّة الجامعيَّة، والأبحاث التدريبيَّة العاديَّة.

الأبحاث التدريبيَّة العاديَّة ليست مقيَّدة إلا بقيود التدريب والإشراف على التدريب والغاية المعلقة عليها، ولذلك لا يمكن أن نضع هنا أيَّ حدود أو أطر محددة لحجم البحث وعدد صفحاته. الذي يعنينا هو ما يقبل الضبط لاعتبارات علميَّة ومنهجيَّة وهو الأبحاث التدريبيَّة

الجامعيَّة التي تبدأ غالباً منذ السنة الأولى وتنتهي بأطروحة الدكتوراه. وهي على الترتيب:

النوع الأول: حلقة البحث في السنوات العادية، وهي الأبحاث التدريبيَّة المصغرة التي يعدها الطلاب في السنوات الدراسية لمرحلة الإجازة وتكون لبعض المقررات المختارة من القسم. ويتراوح حجم الحلقة ما بَيْنَ ١٥ و٢٠ صفحة.

النوع الثاني: رسالة التَّخرج وهي البحث الذي يعدُّه الطالب من أجل نيل الإجازة في الاختصاص الذي يدرسه، وتسمى حلقة البحث هذه برسالة التخرج أَو مشروع التخرج. وهذا البحث موجود في بعض الاختصاصات دون بعضها الآخر. أما حجم هذا البحث فيستحسن أن يتراوح ما بَيْنَ ٥٠ و٧٠ صفحة.

النوع الثالث: حلقات أَو حلقة بحث الدبلوم أَو رُبَّما رسالة الدبلوم. ثَمَّةَ اختلاف هنا بَيْنَ بعض الأقسام والاختصاصات من جهة وبَيْنَ بعض الجامعات من جهة ثانية في عدد أبحاث الدبلوم وطبيعتها، فمنها ما يطلب حلقة بحث في كلِّ مقرر من مقررات الدبلوم ومنها ما يطلب حلقتي بحث ومنها ما يطلب حلقة بحث واحدة غالباً ما تسمى رسالة الدبلوم. ولذلك نجد تبايناً في المطلوب من ناحية حجم البحث في الدبلوم، ولكن على أيِّ حال ثَمَّةَ تقارب في ذلك وشبه اتفاق على أن يتراوح حجم البحث ما بَيْنَ ٣٠ و٦٠ صفحة في حال المطالبة بأكثر من بحث. وعلى أن يتراوح البحث ما بَيْنَ ٧٠ و١٠٠ صفحة في حال المطالبة ببحثٍ واحد.

النـوع الرابـع: رسـالة الماجسـتير. وهـي البحـث الـذي يعـدُّه الطالـب لنيـل درجـة جامعيَّـة هـي درجـة الماجسـتير. ويختلـف عـن رسـالة الـدبلوم بـأن رسـالة الـدبلوم جـزء مـن خطَّـة دراسـيَّة متكاملـة تمثـل حلقـة الوصـل بَـيْنَ الدراسـة الجامعيَّـة العاديـة أَو التقليديَّـة وبَـيْنَ الدراسـات العليـا. أمـا الماجسـتير فهـو الخطـوة الأولى الأساسـيَّة في الدراسـات لعليـا، ولا يطلـب مـن الطالـب غالبـاً إلا إعـداد هـذا البحـث المسـمى رسـالة الماجسـتير، أي عمـل الطالـب في هـذه المرحلـة هـو عمـل مسـتقلٌ يقـوم علـى البحـث في جهـد فـردي بإشـراف أسـتاذ يوجـه الطالـب ويتـابع عملـه البحثـي. يـتراوح حجـم هـذا البحـث مـا بَـيْنَ ١٥٠ و٢٠٠ صـفحة، ويـرى آخـرون أن يـتراوح مـا بَـيْنَ ٢٠٠ و٣٠٠ صـفحة. ولـيس ثَمَّـةَ مشـكلة كبـيرة في ذلـك على أيِّ حال.

النوع الخامس: أطروحة الدكتوراه. وهي البحث الذي يعده الطالب لنيل أعلى الشهادات العلميَّة وهي درجة الدكتوراه. هناك الكثير من أنواع أَو تصنيفات الدكتوراه، الذي يعنينا منها هو ما تسمى دكتوراه الدولة، أو دكتوراه الفلسفة الاختصاصيَّة أي درجة (Ph.D). ولا يختلف بحث الدكتوراه كثيراً عن بحث الماجستير في المبدأ والآليَّة، على الرَّغْمِ من أنَّ ثَمَّةَ من يحاول إقامة فوارق كبيرة ونوعيَّة بينهما، ولا بأس في ذلك إلا إذا أريد منه التَّعجيز والإعاقة والمماحكة. على أيِّ حال يتراوح حجم أطروحة الدكتوراه فيما هو شائع ما بَيْنَ ٢٠٠ و٣٠٠ صفحة، ويرى بعضهم أن تتراوح ما بَيْنَ ٣٠٠ و٤٠٠ صفحة، وليس ثَمَّةَ مشكلة كبيرة في ذلك أيضاً.

ثَمَّةَ ثلاث نقاط أَو مسائل تجدر الإشارة إليه فيما يخص هذه التَّحديدات:

النُّقطة الأولى هي أنَّ تحديد حجم البحث في المراحل الجامعيَّة المتتالية له ضرورات إدارية وعلميَّة تراعي التكافؤ بَيْنَ الطلاب في الجهد لحصول على النتيجة ذاتها وكي يأخذ الشطط ببعضهم طلاباً أَو مشرفين؛ أي كي لا يسترسل الطالب كثيراً في الجهد والبحث أكثر مما يستحق العمل التدريبي، وكي لا يتعامل مع البحث بشيء من اللامسؤوليَّة واللامبالاة فيختزل البحث أَو يبتسره. وكذلك أمر المشرفين الذين لا يجوز لهم أن يكلفوا الطالب أكثر مما يستحق الأمر بكثير أَو يقبلوا منه بالمختزلات اللامسؤولة واللامبالية.

النُّقطة الثَّانية التي تجدر الإشارة إليها في حجم البحث هي عدد الصفحات التقديريَّة التي يراد به تقديراً وسطيًّا بكلِّ معاني الوسطيَّة، أي في حجم الخط وعدد الكلمات... لأنَّهُ من الممكن أن نضغط في صفحة واحدة ما يحتمل توزعه على عشرين صفحة أَو أقل أو أكثر، كما يمكن أن نوسع الخط فتصبح الصفحات الخمس نحو عشر أو عشرين صفحة. الوسطية تعني عدم الغلو لا في التصغير ولا التكبير، ولذلك نشأ معيار جديد أكثر ضبطاً من عدد الصفحات في التعامل مع الأبحاث ما دون الكتب إذ صار يقدر حجم البحث بعدد الكلمات، ووسطي الصفحة ما بَيْنَ ٣٠٠ و٤٠٠ كلمة.

النُّقطة الثَّالثة هي أنَّ التَّقديرات التي تحدَّثنا عنها لعدد الصفحات أَو الكلمات في التراوح ما بَيْنَ وبَيْنَ ليست تقديرات حديَّة أَو حرفيَّة لا تقلُّ عن الحدِّ الأدنى ولا تزيد عن الحدِّ الأعلى وإنَّما هي تقديرات قابلة للتجاوز النِّسبي في كلِّ المراحل ضمن حدود الحاجة وعدم الإخلال.

ثالثاً: مدة البحث

مدة إنجاز البحث من الإشكالات القائمة أيضاً ورُبَّما توجد في بعض الأحيان على نحوٍ غريب عجيبٍ. ولا ندري أيضاً من أن يستمدُّ أصحاب وجهات النَّظر في مدة إنجاز البحث المشروعيَّة في تقدير زمن إنجاز البحث والحكم على أساسها على الباحثين بالارتجال أَو التسرع أَو غير ذلك من أحكام القدح أَو المدح.

إذا تركنا الأبحاث الجامعيَّة في مختلف مراحلها ومستوياتها جانباً، وسنعود إليها، يمكننا القول إنَّهُ لا يوجد ما يوجب على الباحث أن ينجز بحثه ضمن فترة زمنية محددة مهما كانت طبيعة بحثه. وفي الوقت ذاته لا يوجد مقياس ولا معيار يسوِّغ لنا أن نقول إنَّ البحث الذي أنجز في بضع أيام أقل قيمة من البحث الذي أنجز في أشهر أو سنين، كما لا يوجد أيضاً ما يسوغ لنا القول إنَّ البحث الذي استغرق سنين أفضل أَو أعمق من البحث الذي أنجز في أشهر أو أيام.

مدَّة إنجاز البحث لا تعنينا على الإطلاق، ولا يجوز وضعها محكًّا لقيمة البحث أَو معياراً للتعامل معه. الذي يعنيا هو النتيجة، هو البحث ذاته مهما كان الوقت الذي تكلفه الباحث إنجازه، ولا يجوز أن يكون الزمان شفيعاً لخطأ ولا مستنداً للحكم عليه بالعمق والقوَّة. ورُبَّما يجب هنا أن نذكر ما نصح به أحد الحكماء، وينسب ذلك إلى **أفلاطون**، عندما قال: «أتقن عملك فإنَّ النَّاس لا تقول كم استغرق فيه، وإنَّما تقول: كيف عمله».

إذن لا يجوز هدُّ المدَّة الزَّمنيَّة التي استغرقها البحث معياراً للتَّعامل معه إلا إذا كان ذلك جزءاً من البحث. أي أن يكون البحث ذاته موضوعاً لبحث

آخر. أمَّا فيما خلا ذلك فالأمر متروك للباحث وفق ما هو متاح له من القدرة والمهارة والكفاءة والمعرفة والثقافة وامتلاك اللغة وأدوات البحث والوقت والغاية من البحث وغير ذلك من الشروط والمعطيات التي تختلف من باحث إلى آخر.

كما لا يجوز أن نقيس كلَّ الناس بميزان واحدٍ لا يجوز أن نقيس كلِّ الباحثين بميزان فثَمَّةَ اختلافات في الكفاءات والقدرات وحَتَّى في وجهات النظر من البحث والكتابة ومدى ما يمتلكه هذا الباحث أَو ذاك من معرفة وثقافة وغير ذلك الكثير.

ما يجب أن نعده معياراً هو البحث ذاته الذي نحكم عليه؛ مدى الأصالة فيه والجدية والمنهجيَّة واتساق المعلومات ومصداقيتها وصوابيتها وغير ذلك من المعايير بغض النظر عن المدة التي استغرقها البحث، لأنَّ ذلك أصلاً أمر غير متاحٍ غالباً ورُبَّما دائماً، لأننا لا يمكن أن نركِّب عدَّادات للباحثين تكشف لنا عن مدد إنجازهم البحوث، ناهيك عن أنَّ إنجاز البحث ليس مرتبطاً فقط ببدء العمل فيه فهناك المخزون العرفي وبدء الفكرة في ذهن الباحث، والتجهيز لها ذهنيًّا وعمليًّا. كتابة البحث ليست سباقاً على إنجاز طبخة، ولا تشبه أبداً أيَّ عملٍ يقاس بالزمن، إنَّهُ نتاج موهبة وما تمتلكه هذه الموهبة من استعدادات ومخزون ومساعدات...

أمَّا فيما يتعلَّق بالأبحاث الجامعيَّة فالأمر مختلف إلى حدٍّ ما، لأنَّ عامل الزَّمن هنا جزء من العمل البحثي. ومن الضَّرورة بمكانٍ تحديدُ أمديةٍ زمنيَّةٍ قابلةٍ للزيادة والنقصان تبعاً للمرحلة الجامعيَّة وطبيعة البحث. على ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أننا نتحدث عن المراحل التقليديَّة لنيل

درجة دكتوراه الدول التي تبدأ بالدبلوم وتمر بالماجستير وتنتهي بالدكتوراه، تاركين الأنظمة الأخرى الموجودة في بعض الجامعات التي تعطي الدكتوراه من دون المرور بهذه المراحل أَو غيرها... وهذا ما يمكن تبيانه على النَّحو التالي:

١ . تختلف المدة المتاحة لحلقة البحث في سنوات الدراسية الجامعيَّة الأولى تبعاً لطبيعة الدوام الفصلي والسنوي، وتبعاً للعدد المطلوب من حلقات البحث في هذين النظامين. ولذلك يفضل هنا ترك أمر التحديد للطالب ذاته الذي عليه أن يوزع وقته على مدار الدوام وعدد حلقات البحث توزيعاً مناسباً له ولمتطلبات النَّظام الجامعي الذي يعمل في إطاره، وهذا التوزيع في حدِّ ذاته ضرب من التمرين والتدريب الذي يجب أن يلتزم به الطالب ويستفيد منه في البرمجة والتخطيط.

٢ . أما رسالة التَّخرج فهي غالباً ما تكون محددة أصلاً بالقوانين الجامعيَّة التي تفتح باب تسجيلها في وقت محدد وتفرض إنهاءها في وقت محدِّد. ويرتبط هذا غالباً بالجامعة والقوانين التي تعمل بها هذه الجامعة أَو تلك بغض النظر عن طبيعة الدوام الفصلي أَو السنوي. ولكن أظنُّ أن من المستحسن أن يمتد إعداد رسالة التخرج على مدار العام الدراسي الأخير حَتَّى ولو كان موزَّعاً على فصلين من أجل إتاحة الفرصة أمام المراجعة والتدقيق وتبيان العثرات والأخطاء وإعادة النظر وغير ذلك.

٣ . ما يقال على حلقات البحث في الدبلوم ينطبق على ما قيل في حلقات بحث السنة الدراسية العادية من حيث ترك الفرصة للطالب في توزيع

وقته بالطريقة التي تناسبه وتناسب الأوقات والمهل التي تتيحها الجامعة. وإذا كانت هناك رسالة واحدة أَو حلقة بحث واحدة فينطبق عليها ما ينطبق على رسالة التخرج التي قدمها الطالب في السنة الأخيرة.

٤ . في رسالة الماجستير الأمر مختلف عن المراحل السابقة كلها.وقد جرت العادة في معظم جامعات العالم على تحديد حدٍّ زمنيٍّ أدنى لإنجاز الرسالة وحدٍّ زمنيٍّ أعلى، ورُبَّما توجد بعض الجامعات التي لا تضع سقفاً زمنيًّا أعلى لإنجاز رسالة الماجستير. وتكاد تتفق الجامعات كلها على أنَّ الحدَّ الزَّمنيَّ الأدنى لمناقشة رسالة الماجستير هو السَّنة التي تبدأ من تاريخ تسجيل البحث رسميًّا الذي غالباً ما يكون قرار الجامعة بالموافقة على التسجيل، ورُبَّما يكون قرار الكليَّة في بعض الجامعات، وعلى أيِّ حال القرار المعتمد هو القرار الذي يسمح للطالب بالمباشرة في بحثه رسميًّا. وتنتهي هذه السنَّة بتاريخ قرار تشكيل لجنة المناقشة أو رُبَّما قرار مجلس القسم أَو حَتَّى الكليَّة ورُبَّما جلسة المناقشة، وكل ذلك تابع لاجتهادات الكلية أَو القسم أَو الجامعة.

الحقيقة أنَّهُ كان من الضَّروري اشتراط هذا الحد الأدنى حَتَّى لا يفسح في المجال أمام ممارسات خاطئة أَو اجتهادات في غير موضعها كأن يجهز الطالب بحثه مسبَّقا ويسجل يناقش رسالته خلال شهر أَو أقل أَو أكثر. وكذلك الشَّأن في الدكتوراه، وإن كنت شخصيًّا لست ضدَّ مثل ذلك، ولكن الواقع وما في هذا الواقع هو الذي يجعلنا نضع المتميزين والعاديين في كفة واحدة من الميزان.

أما الحد الأعلى فهو أمر نسبي تختلف فيه الجامعات اختلافات كبيرة في بعض الأحيان، فهناك جامعات تجعله ثلاث سنوات وأخرى تجعله أربع وأخرى أكثر حَتَّى عدم التحديد.

٥ . تتفق أطروحة الدكتوراه مع رسالة الماجستير في مسألة تحديد الحد الزَّمني الأدنى مع اختلاف الحد، وتختلف معها في أنَّ غالبية جامعات العالم لا تضع سقفاً زمنيًّا أعلى للانتهاء من إعداد أطروحة الدكتوراه. أما الحدُّ الزَّمني الأدنى لإنجاز أطروحة الدكتوراه فهو مختلف من جامعة إلى أخرى، ولكنَّهُ عامَّة إما أن يكون سنتين أَو ثلاث سنوات. أمَّا الحد الأعلى فهو غالباً غير محدد إلا في بعض الحالات الخاصَّة أَو الاستثنائيَّة.

٦ . أما الأبحاث التي يقوم الأساتذة الجامعيون أَو الباحثون في مراكز الأبحاث فهي مسألة أخرى. إنَّها في المستوى الأول من الاختلاف أبحاث احترافيَّة، وهي على ثلاثة أنواع على الأقل؛ أبحاث ترفيعية، أبحاث مهنيَّة، أبحاث خاصَّة.

الأبحاث الخاصَّة هي التي يقوم بها الباحث باجتهاد شخصيٍّ ولأغراض شخصيَّة، ولذلك فهي غير مقيَّدة بأيِّ فترة زمنيَّة لا في البدء ولا في النهاية. وكذلك إلى حدٍّ ما شأن الأبحاث الترفيعيَّة التي يفترض أن ينجزها الباحث كاملة ضمن فترة خمس سنوات هي الفترة المتاحة حدًّا أدنى بَيْنَ المرتبة والمرتبة التالية لها، وعلى الرَّغْمِ من ذلك ليس ثَمَّةَ ما يلزم الباحث أَو الأستاذ الجامعي بأن يترفع ضمن هذه المدة تحسباً لما قد يمر به الباحث أَو الأستاذ من ظروف أَو معطيات تعطله عن القيام بمثل الأبحاث. أما الأبحاث المهنيَّة فهي الأبحاث التي تفرضها الجامعات التي

تعتمد هذه الآليَّة في العمل أَو مراكز الأبحاث على الباحثين ضمن مهل زمنية محددة تتولى الجامعة أَو الكلية أَو مركز الأبحاث تحديدها على ضوء طبيعة البحث وحجمه وغايته وعدد الأبحاث أَو الساعات البحثيَّة المطلوبة من الباحث على مدار العام أَو ما يشبهه من الخطط الزَّمنيَّة لإنجاز البحوث.

رابعاً: منهج البحث

يجري الحديث عن مناهج أَو طرائق بحثيَّة مختلفة يلجأ إليها الباحث أو يجب أن يلجأ إليها في بحثه. وعلى الرَّغْمِ من أنَّ اصطلاح منهج أو مناهج البحث أكثر التصاقاً بالأبحاث الميدانية في علم الاجتماع وعلم النفس والتربيَّة وغيرها، إلاَّ أنَّهُ يستخدم أيضاً لوصف الآليَّة التي يعتمدها الباحث في عرض موضوعه ومناقشته نفياً وإثباتاً... وليس ثَمَّةَ مشكلة في هذه التسمية على أيِّ حال. ولكن ما تجدر الإشارة إليه أنَّ كثيرين يستخدمون اصطلاحي المناهج والطرائق استخداماً واحداً واقترانيًّا في أحيان أخرى، فعندما يقال مناهج البحث يقصد بها طرائق البحث والعكس كذلك، وبعضهم يستخدم مناهج البحث وطرائقه... على الرَّغْمِ من أنَّ الطَّريقة هي إحدى أدوات المنهج أَو خطواته الجزئيَّة.

يقوم منهج البحث على مجموعة من الطَّرائق التي يحقق كلٌّ منها غاية محددة، ولكلٍّ منها ضرورتها الخاصَّة. وأبرز هذه الطرائق: الوصفيَّة، التَّحليليَّة، التَّركيبيَّة، الاستنتاجيَّة، الحواريَّة، السجاليَّة... وربَّما غير ذلك

من الطرائق التي أيضاً تسمى بالمناهج بها فيقولون المنهج الوصفي والمنهج التحليلي...

مشكلتنا هنا مع أشباه أَو أنصاف الباحثين أَو أنصاف النقاد الذي لا يعرفون من الألف إلاَّ أنَّها تشبه العرنوس... إنَّهُم يريدون أن يقيسوا كلَّ الأطوال بالمسطرة ذاتها. وهذا في الحقيقة أمرٌ مضحكٌ.

كثيراً ما نصادف أمثال هؤلاء وهم يعيبون على الباحث أنَّهُ استخدم أكثر من منهجٍ في بحثه، أو أنَّهُ أدخل المناهج ببعضها بعضاً، أو أنَّهُ لم يستخدم سوى منهج واحدة في حين كان ينبغي أن يستخدم أكثر منه منهج... أو غير ذلك من الانتقادات المضحكة التي تنمُّ عن بعدهم أَو جهلهم بالبحث؛ معناه، أصوله، بنيته، آليَّته... أَو رُبَّما على الأصح تعميمهم ما تعلموه خطأً أَو فهموه خطأً وقرَّ في أذهانهم وقناعاتهم على أنَّهُ هو الطَّريق الصَّحيح ورُبَّما الوحيد الذي يجب أن تسير عليه كلُّ العربات بل كلُّ الأبحاث.

مثل هذه التَّعميمات خاطئة بالضَّرورة لأنَّها لا تقوم على أيِّ أساسٍ منهجيٍّ أَو علميٍّ، وإنَّما تقوم إما على تجارب خاطئة أَو على معارف مبتورة وناقصة.

يلجأ الباحث عادة إلى طرق البحث السَّابقة كلاً أَو بعضاً بطريقة تلقائيَّة، ويستخدم كلاً منها في مكانها المناسب بالتَّلقائيَّة. قد يخطئ أحياناً في استخدام الطريقة الأكثر مناسبةً وفائدة ولكنَّ هذا ليس بالجريمة ولا بالخطأ الجسيم على أيِّ حال، ذلك أنَّ أيَّ فكرة يمكن أن تقبل أكثر من طريقةٍ في المعالجة، وقليلةٌ

هي الأفكار التي تحتاج إلى طريقةٍ واحدةٍ محدَّدةٍ أَو لا تجدي معها إلا طريقةٌ محدَّدةٌ.

الباحث الموهوب والمحترف قلما يعاني صعوبة في اختيار الطريقة المناسبة في معالجة موضوع أَو فكرة لأنَّ طرائق البحث لا تحتاج إلى معجزة لتعلمها، والإنسان؛ أي إنسان، يمارسها في حياته اليوميَّة على نحو تلقائيٍّ من دون حاجة إلى تعلمها، وكذلك إلى حدٍّ ما شأن الباحث المحترف الذي لا يحتاج إلى كثير جهد كي يمارس أي طريقة بحثيَّة من هذه الطرائق، ولا يحتاج إلى كثير جهدٍ كي يوظف الطريقة المناسبة في المكان المناسب. ولذلك قد يلجأ في البحث الواحد إلى طلِّ الطرائق معاً، وقد يلجأ إلى بعضها فقط. الذي يحكم ذلك هو شخصيَّة بالباحث وطبيعته وميوله وكذلك طبيعة الموضوع.

لا شكَّ في أنَّ هناك نظريات كبرى في هذه الطَّرائق وتطبيقات كبيرة وخصبة لها، ولكن ذلك ينفع أَو يحتاج إليه عندما تكون هذه النظريات ذاتها هي موضع الدراسة، وعندما تكون الأداة البحثيَّة الأساسيَّة في التعامل مع بحث آخر أَو نص... ورُبَّما تكون هذه مهمَّة نقديَّة أكثر منها مهمة بحثيَّة، وإن كان النقد ضرباً من ضروب البحث.

الباحثون المبتدئون والمتدربون يحتاجون إلى معرفة هٰذه الطَّرائق والتَّمييز بينها ومعرفة خصائص كلٍّ منها ومحاسنها ومساوئها والمواضع التي يحسن استخدامها فيها... ومثل هذا ما يتمُّ عادة عبر المراحل الدراسيَّة الأولى على نحو تدريجي تتابعي وإن كان يفتقر المنهجيَّة

المناسبة. وعلى أيِّ حال فإنَّ هٰذه الطرائق هي طرائق العقل في التَّفكير التي لا تحتاج إلى كثير تعلم.

خاتمة

ما عسانا نقول في هٰذه الخاتمة؟

لنتحدث في خاتمة البحث، أحد عناصر البحث. ثَمَّةَ وجهات نظر متعددة ومختلفة فيما يجب أن تكون عليه الخاتمة، وكذَلِكَ الأمر في المقدمة.

في الثقافة الغربيَّة عامَّة توجد تقاليد وأعراف، ورُبَّما قواعد وضوابط، تحكم المقدمة والخاتمة. أي ليس هناك مساحة كبيرة متاحة للباحث في كتابة المقدمة والخاتمة. وإنَّما هناك شروط على الباحث أن يراعيها.

يجب أن تكون المقدمة مدخلاً للبحث، ليس أيَّ مدخل، يجب أن تكون عرضاً مكثفاً جدًّا لما ينطوي عليه البحث كلُّه. أما الخاتمة فهي نتيجة البحث. لن تكون خلاصة لما تقدَّم لأنَّ ذَلِكَ سيكون إعادة إنتاج أو إعادة كتابة للمقدمة بطريقةٍ أخرى. وإنَّما يجب أن تكون الخاتمة نتيجة البحث. أي عرض النتائج التي خلص إليها الباحث من خلال بحثه كله. رُبَّما يمكن أن تكون النَّتيجةُ متضمِّنَةً اقتراحات الباحث وتوصياته لمن سيتابع البحث بعد أو غيره ممن يعنيه أمر البحث الذي أنجزه. هٰذه الخاتمة بهذا المعنى تصح، ورُبَّما تكون ضرورية في مختلف الميادين المعرفية، ولكن في الفلسفة رُبَّما يختلف الأمر قليلاً. لا بأس من تضمنها نتيجة أو

خلاصة ما وصل إليه الباحث، ولكن لمن يرفع الباحث الفلسفي توصياته؟

لا يوجد ما يعيب هٰذه التقاليد والأعراف، ولا بأس من اعتمادها، خاصَّة وأنَّهَا تخرج الباحث كثيراً من مغبَّة التفكير في خاتمةٍ مناسبة.

نقطة التمايز التي يجب توضيحها هي خاتمة الفقرة السَّابقة. جرت العادة في ثقافتنا العربيَّة على القول بوجوب بدء الموضوع (النص/ البحث) بمقدمة مناسبة، أن يختم بخاتمة مناسبة. لنلاحظ هٰذا التحديد: مقدمة مناسبة، وخاتمة مناسبة. ماذا يعني ذَلِكَ؟ وكيف تكون المقدمة أو الخاتمة مناسبة؟

هناك مساحة واسعة من الحرية وطريقة التعبير وموضوع الحديث أمام الباحث لوضع مقدمة مناسبة ووضع خاتمة مناسبة. أبسط الاحتمالات وجوب أن تكون المقدمة والخاتمة تمهيداً للبحث، وتأكيداً يوصل القارئ إلى أن البحث انتهى. وهٰذا يعني أيضاً في أبسط الاحتمالات وجوب أن لا تكون المقدمة ولا النتيجة تغريداً خارج سرب موضوع البحث. أما الاحتمالات الأخرى للمقدمة والخاتمة فهي غير محدودةٍ في حقيقة الأمر. كل باحث له رؤيته وخصوصيته وطريقته في التمهيد والخاتمة. وفي الوقت ذاته لا توجد أفكارٌ محدَّدةٌ لمناقشتها في المقدِّمة والخاتمة سوى أن تكون كلاهما مناسبة لمقام الكلام التَّمهيدي أو الختامي لموضوع البحث.

على أيِّ حالٍ، إنَّ الباحث المبدع لا يحتاج إلى من يعرفه كيف يكتب المقدمة أو الخاتمة، وكذَلِكَ أمر الباحث المحترف أيضاً. وإنَّما الباحث المبتدئ أو المتدرب هو من يجب عليه التدرب على كيفية كتابة المقدمة والخاتمة، وخير سبيل هو الاعتماد على الضوابط والمعايير التي سبق الكلام فيها، المعتمدة في الثقافة الغربية فإِنَّهُ ضوابط منهجيَّة مناسبة جدًّا ولا عيب عليها ولا فيها، ولذَلِكَ من الجيد اتباعها.

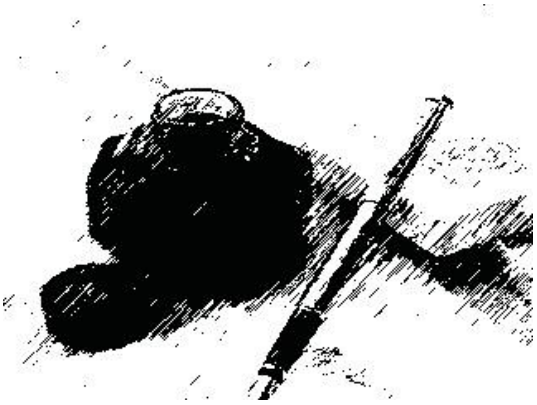

الفصل الثالث

فنون الكتابة وأنواعها

عناصر الفصل

البحث

الدراسة

المقالة

النقد

التحقيق

العرض

* * *

العمـــل الأدبـــي ثمـــرة الحـــب، والحب الذي لا يدفع إلى عمل عظيم حبٌّ ميت.

ليون تولستوي

البحث أحد أنواع الكتابة بالمطلق. وغاية الكتابة بالمطلق إيصال الأفكار أَو نقلها من كاتبها إلى فريقٍ آخر هو المتلقِّي أو القارئ. والكتابة عامَّةً تنقسم إلى قسمين أساسيين هما الكتابة الإبداعيَّة والكتابة البحثيَّة. وكلاهما في المطلق ضربٌ من النَّشاط الإبداعيِّ، لأننا بالتَّأكيد لا نعني بالكتابة استنساخ المعلومات وإعادة كتابتها وإلاَّ لكان من الكتاب أو المبدعين كلُّ طلاَّب المدارس والجامعات والدَّورات التعليميَّة ومعقِّبي المعاملات وكتاب المحاكم وغيرهم ما لا يعدُّ ولا يحصى. وإنَّما ميَّزنا بَيْنَ كتابةٍ إبداعيَّةٍ وكتابةٍ بحثيَّةٍ، وهي وجهة نظرٍ على أيِّ حالٍ، لأنَّ ثَمَّةَ فرقاً بَيْنَ الكتابة الإبداعيَّة يوصفها نشاطاً جماليًّا أَو ممارسةً جماليَّةً، وبَيْنَ الكتابة البحثيَّة التي تعنى بالمعلومة والمعرفة وحسب، من حيث النَّقل من ذهن صاحبها وصانعها والبرهان والإثبات والمحاجَّة والتَّأكيد والدَّحض.

هٰذا يعني أنَّ الكتابة الإبداعيَّة التي تشمل الشِّعر والقصَّة والرِّواية والمسرحيَّة وما كان في حكم ذَلِكَ، غير معنيَّة بالبرهان والإثبات، وهٰذا حقٌّ، فهي كتابة تعتمد على التَّخيُّل والتَّخييل والتَّفنُّن في الصُّور الجماليَّة المبدعة التي تعتمد في صوغها وتلقِّيها على المخيِّلة الجماليَّة لا على الذَّائقة المنطقيَّة. أمَّا الكتابة البحثيَّة بأنواعها فتقوم أساساً على الإقناع بالمحاكمة واعتماد الحجَّة والدَّليل والإثبات

والنَّفي... وغير ذلك مما يندرج في هٰذا الإطار، لأنَّ الكتابة البحثيَّة تقوم على مخاطبة العقل ومحاولة إقناعه. خلاف الكتابة الإبداعيَّة التي لا تعنى بمخاطبة العقل بقدر ما تعنى بمداعبة الذَّائقة الجماليَّة والمخيِّلة لتثير فيها متعةً نوعيَّةً خاصَّةً هي المتعة الجماليَّة.

لن نقف مطوَّلاً عند الكتابة الإبداعيَّة لأنَّ لها شأنها وخصوصيَّتها[١٢] التي تفترق عن الكتابة البحثيَّة التي سنعنى بها هنا. والكتابة البحثيَّة تنقسم بوجهٍ من القسمة إلى أربعة أنواع رئيسيَّة كبرى هي البحث والدِّراسة والنقد والمقالة. وثَمَّةَ أنواعٌ أخرى تندرج في التَّصنيف العام تحت إطار الكتابة البحثيَّة وهي التَّعليق والعرض والشَّرح والاختصار والتَّحقيق. ولكنَّ هٰذه الأنواع، وإن كانت في الافتراض النَّظري، تقوم على شروطٍ منهجيَّةٍ وجهودٍ بحثيَّةٍ إلاَّ أنَّها تظلُّ خارج إطار البحث بأنواعه السَّابقة من القسم الأوَّل لأنَّها تقوم أساساً على إعادة عرض مادَّةٍ بطريقة مختصرة أَو موَّسعة أو ذاتها مع التَّحقُّق من صحَّتها. وإذا كنَّا ننظر إلى أنواع القسم الثَّاني، أي التَّعليق والشَّرح والاختصار... على أنَّها جهودٌ بحثيَّة فإنَّنا ننظر إليها من زاويتين:

أولهما: أن تكون هٰذه الأنواع قائمةً بذاتها مستقلَّةً عن أيِّ عملٍ آخر، مثل شرح النُّصوص أَو الكتب أَو اختصارها. وبذلك تكون هذه الأنواع أقرب إلى الجهد الإعلامي أو الصحافي أَو التَّعليمي المحض.

ثانيهما: أن تكون هٰذه الأنواع خطوات جزئيَّة من عمليَّةٍ بحثيَّة أكبر منها، وتكون في مثل هٰذه الحال أدواتٍ بحثيَّة، أَو طرائق مساعدة في عمليَّة بالبحث،

(١٢) . أفردنا للكتابة الإبداعيَّة كتاباً خاصًّا عنوانه الطريق إلى الإبداع؛ نحو نظريَّة جديدة.

يلجأ إليها الباحث ويستعين بها بوصفها في الأصل جزءاً من عمليَّة البحث يصعب الاستغناء عنها، كما يصعب الاستغناء عن غيرها من طرائق البحث وأدواته.

البحث

سبق وأفردنا فصلاً مطولاً في هٰذا الكتاب لمفهوم البحث[١٣]، ولا بأس هنا من إعادة التعريف وحسب، مع بعض الاختصار.

البحث في لسان العرب «أن تسأل عن شيءٍ، وتَسْتَخْبِر» أي هو استقصاء يطال ما يتعلَّق بأمر أَو شيءٍ ما. والاسْتِبْحَاثُ والابْتِحَاثُ والتَّبَحُّثُ عن الشيء كلها تعني التفتيش عنه. وبهذا المعنى تقريباً عرَّف **رومل** ـ Rummel البحث بأَنَّهُ «تقصي أو فحصٌ دقيقٌ لاكتشاف معلوماتٍ جديدةٍ ونمو المعرفة الحالية والتَّحقق منها»[١٤]. ولذلك تستخدم كلمة البحث في مختلف الميادين وبمضافاتٍ مرتبطةٍ بميادين البحث فنقول: البحث الأدبي، البحث العلمي، البحث النَّظري، البحث العملي، البحث الميداني، البحث التَّاريخي... وغير ذَلِكَ. وفي إطار الثَّقافة الغربيَّة تستخدم كلمة البحث في ميادين مهنيَّة «فالبحث قد يكون الوثيقة التي يعدها المحامي ويقدِّمها للمحكمة، وقد

---

(١٣) . انظر الفصل الثاني من هٰذا الكتاب: مفهوم البحث.

(١٤) . أحمد عبد الله الصباب: **أساليب ومناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية** . دار البلاد للطباعة والنشر . جده .١٩٩٢م . ص٢٨.

يكـــون أيضـــاً تقريـــراً في موضـــوعٍ معـــيَّنٍ وضـــعته إحـــدى الإدارات في إطار إجراءات تؤخذ على ضوئها القرارات»[١٥].

ليس ثَمَّةَ اختلاف يوقف عنده بَيْنَ الدَّلالة اللغوية والدَّلالة الاصطلاحيَّة، فإذا كان البحث في المفهوم العام والشَّائع هو التفتيش والتَّنقيب بما يقوم عليه ذلك من سؤال ومناقشة ومحاجة وجدال للوصول إلى ما يُبْحَثُ عنه أو يُفَتَّشُ عنه. فإنَّ البحث بالمعنى الاصطلاحي هو الجهد الذي يبذله الباحث أَو فريق الباحثين في عرض موضوع ما عرضاً غائيًّا، قد يكون هٰذا العرض شفهيًّا ولكنَّهُ في الشائع والمتداول أن يكون العرض في نصٍّ مكتوب وفق معايير خاصَّة.

ليس أيُّ عرضٍ بحثاً بالتَّأكيد، ولذلك يجب أَو يفترض على الأقلِّ أن يتضمَّن العرض أموراً معينة أو بعضها مثل إعادة عرض فكرة أَو موضوع عرضاً يزيد في توضيح ما كان غامضاً، أو من وجهة نظر مخالفة، أو عرض كشف فكريٍّ، أو إثبات أو نفي فكرة... أي إنَّ للبحث غاية هي الوصول إلى شيءٍ أَو أمرٍ ما هو المطلب الذي دفع الباحث أو فريق البحث للبحث. ويكون هذا المطلب غالباً إثبات أو نفي فكرةٍ، ويمكن أن تكون هٰذه الفكرة رؤيَّة أَو فرضيَّةً أَو نظريَّةً أَو موقفاً.

ولكن هٰذا التَّعريف ليس الوحيد، وعدم كونه وحيداً لا يعني وجود اختلافات بَيْنَ التَّعريفات، فهي كلها تدور في فلك الفكرة السَّابقة بألفاظٍ مختلفةٍ، من ذَلِكَ مثلاً **أحمد عبد الله الصباب** الذي عرفه بأَنَّهُ «الوسيلة

---

(١٥) . جمال مصطفى العيسوي وآخرون: **البحث العلمي في كليات المعلمين بالمملكة العربية السعودية** . مركز البحوث التربوية بجامعة الملك سعود . الرياض . ١٩٩٨م . ص ٦.

للوصول إلى تطوير المعرفة بطريقةٍ منتظمةٍ، وطريقة إيجاد حلول لمشكلات التَّغيير في مختلف النَّواحي لكي يسير المجتمع في سبيل التَّقدم ويحقِّق ما يصبو إليه»[١٦].

إليه»[١٦]. ولم يبتعد **جمال العيسوي** عن هٰذا التعريف إذ رأى أَنَّهُ «نشاطٌ علميٌّ منظَّمٌ يقوم به الباحث أو مجموعة الباحثين بقصد حلِّ ما يواجههم من مشكلات، أو اكتشاف معلوماتٍ أو علاقاتٍ جديدةٍ، أو تطوير أو تصحيح أو تحقيق ما هو كائنٌ بالفعل، باستخدام ما يتناسب وطبيعة المجال البحثي من مناهج وأدوات»[١٧].

يبدو من خلال التعريفات السابقة وسواها أنَّ ثَمَّةَ توافقاً عامًّا على أنَّ للبحث غاية أساسيَّة ليست وحيدة وهي إيجاد حلول لمشكلة أو مشكلات تواجه الإنسان أو الإنسانية، أي يمكن أن تبدأ المشكلة فردية أو من حالة شخصيَّة، ولكنَّهَا يجب بالتأكيد أن تتجاوز الشخصي إلى الإنساني، لأنَّ المشكلة الشَّخصيَّة تظل شخصيَّة.

الدراسة

يلتبس على الكثيرين الفرق بَيْنَ البحث والدراسة، فيسمُّون الدِّراسة بحثاً، ويسمُّون البحث دراسةً. لن تخرب الدنيا من هٰذا الخلط، كما أنَّهَا لن تعمر من إزالته، إذ لا كبير مشكلة في ذَلِكَ في حقيقة الأمر. البحث والدراسة واحدٌ في المبدأ اثنين في الجهة. إنهما وجهان لممارسة واحدة. والتمييز بينهما يسيرٌ غالباً، وفي حالات قليلة قد يكون ثَمَّةَ صعوبة في ذَلِكَ.

---

(١٦) . أحمد عبد الله الصباب: **أساليب ومناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية** . ص٢٨.

(١٧) . جمال مصطفى العيسوي وآخرون: **البحث العلمي** . ص ٦.

إذا اعتمدنا تعريف البحث للدراسة، وهو واحدٌ بمعنى من المعاني، يبقى أن نميز بينهما من خلال الفروق التي يختلف بها أحدهما عن الآخر. يمكننا التمييز بَيْنَ البحث والدراسة من خلال أربع نقاط أساسيَّة على الأقل تتعلق الأولى بالمضمون وبالثانية بالطبيعة والأخيرتان للتَّسمية، ناهيكم عن الاختلافات الأخرى التي سنتابع فيها فيما يتعلق بالاختيار والتحديد والعمل، وهٰذه النقاط هي:

النقطة الأولى: في البحث نحدِّد فكرة نتناولها بالمعالجة، أمَّا في الدِّراسة فنحدد حالة نتناولها بالمعالجة.. وفي كليهما من أجل الوصول إلى حلٍّ أو تطوير أو تعديل... أو غير ذَلِكَ مما حددناه في مفهوم البحث.

النقطة الثانية: البحث نظري، والدراسة ميدانيَّة. وهٰذا نتيجة أو تلازم منطقي مع الفرق الأول، فالفكر يتم تناولها نظريًّا، تأمليًّا، أمَّا الحالة فهي واقعة والواقعة يتم يتمُّ تناولها عمليًّا، أو تطبيقيًّا، أو ميدانيًّا في الاسم الاصطلاحي. وبالمناسبة فإنَّ اصطلاحي العملي والتطبيقي جزءان من الدراسة الميدانيَّة.

من الجدير بالذكر هنا أن الدراسة غالباً، بل بالضَّرورة، ما تنقسم إلى جانبٍ نظريٍّ وجانبٍ تطبيقيٍّ. يسمَّى خطأً الأول بالدِّارسة النَّظريَّة والثاني بالدَّراسة الميدانيَّة. الحقيقة أنَّ الدراسة كلها ميدانية؛ قسم منها نظريٌّ وقسم تطبيقيٌّ. القسم النَّظري تمهيدٌ وتوطئةٌ وتأسيسٌ للتطبيقي، والقسم الثاني تنفيذ لمعطيات القسم الأول أي تطبيق لها. والقسمان معاً هما الدراسة، وهي ميدانيَّة.

النقطة الثالثة: البحث والدَّراسة اسمان لما يقوم به الباحث. أمَّا تسمية مضمون أو مادة العمل البحثي فإنَّنا نسمي الموضوع للدِّراسة، نقول موضوع

الدراسة، ولا نقول فكرة الدراسة. أما البحث إننا نسمي مضمونه بالفكرة، نقول فكرة البحث، ولا نقول موضوع البحث.

النقطة الرابعة: ثَمَّةَ نوعٌ آخر من التَّسمية التي تختلف بها أيضاً الدِّراسة عن البحث. في البحث والدراسة نحن أمام (مضمون) بحاجة إلى معالجة، لسببٍ ما يجعله مشكلة أو إشكاليَّة. تطلق الإشكاليَّة على البحث كونها مهما فعل الباحث في معالجتها تظلُّ معلَّقةً على موقف أو رأي آخر وآخر وهٰكذا. أما المشكلة فهي للدِّراسة كون الباحث قد يحلُّ المشكلة وينتهي الأمر ولا تظلُّ هناك مشكلة.

تنطبق شروط اختيار البحث على اختيار الدِّراسة بالضَّرورة. ولكن ثَمَّةَ فرق هنا صريحٌ بَيْنَ طبيعتي الاختيار. فكرة البحث تأمليَّة من خلال المعرفة النظرية التي يمتلكها الباحث. أما الدراسة فهي مشكلة على أرض الواقع الاجتماعي أو النفسي أو التربوي أو الأخلاقي... أو غير ذَلِكَ من ميادين العلوم الاجتماعيَّة.

اكتشاف مشكلة الدراسة أمر يسير لأنَّ المشكلة تفرض ذاتها على أصحاب الميدان المعرفي وتستدعي العمل على حلها، ولكن ثَمَّةَ مشكلات للدراسة تحتاج إلى براعة الباحث في اكتشافها واختيارها والعمل على حلها. أي إننا أمام نوعين من مشكلات الدراسة الأول يقف وينظر إلى الوراء والثاني يقف وينظر إلى الأمام. في النوع الأول نكون أمام مشكلة نعاني منها فنقف أمامها وندرسها لنحلها، أما في النوع الثاني فإننا تفترض افتراضاً لشيء سيكون أو هو كائن ونحاول التلاعب بمتغيراته لنعرف ما يمكن أن يكون من نتائج.

في تحديد فكرة البحث ومعالجتها نتمنى الموضوعيَّة ولا تزعجنا الذَّاتيَّة، ولكن في تحديد موضوع الدِّراسة لا بُدَّ من الدِّقَّة، والنَّزاهة مطلبٌ أساسيٌّ. نحن لا نتحدث هنا عن موضوعيَّة وذاتيَّة، وإنَّما نتحدَّث عن دقَّة ونزاهة، لأنَّ عدم الدقة سيؤدي إلى خلل في النتائج، وضرر في تطبيق نتائج الدِّراسة.

هنا نجدنا أمام مسألة أساسيَّة أيضاً تتعلق في علاقة مخطط المشروع بالإنجاز. مخطط البحث وإشكاليته ليس تصميماً غير قابل للتعديل أو التبديل أو التغيير، يمكنن أن تستجد للباحث أمور في أثناء إنجاز البحث تجعله يعيد النظر في مخططه أو حَتَّى بعض مفاصل الإشكاليَّة، أمَّا في الدراسة فهٰذا الأمر غير متاح، لا يستطيع الباحث أن يغير في مخططه ومشكلته وفروضه بعد تحديدها. ولذَلِكَ يجب أن تصاغ مشكلة البحث بأناة ودقَّة ومسؤوليَّة. ومن أبرز الشُّروط الواجب توافرها في صوغ مشكلة البحث:

أولاً: يجب أن المشكلة المراد دراستها واضحة في ذهن الدارس وضوحاً تامًّا لا لبس فيه ولا اختلاط.

ثانياً: يجب أن تصاغ المشكلة بوضوح حَتَّى يتمكن الباحث من التواصل الواضح مع القارئ أيًّا كان، وحَتَّى يبني عليها معطيات الدراسة الميدانيَّة.

ثالثاً: يجب أن تصاغ مشكلة الدراسة بعبارات تقريرية مباشرة غير قابلة للتأويل والاحتمالات وسوء الفهم.

رابعاً: يجب أن يبتعد الباحث عن الأسئلة في صوغ المشكلة، لأن الأسئلة ستكون القسم التطبيقي لحل المشكلة، أي في الاستمارة أو الاستبيان.

خامساً: يجب أن تكون أسئلة الاستمارة أو الاستبيان واضحةً، محدَّدةً، موجَّهةً توجيهاً دقيقاً إلى الخيارات المحدَّدة. أي لا ينبغي أن يتضمَّن السُّؤال أيَّ لبسٍ أو غموضٍ أو قابليَّةٍ للتَّأويل أو احتمال إجاباتٍ غير متوقَّعةٍ، أو إجاباتٍ غير الاحتمالات المحدَّدة له.

سادساً: تقوم كلُّ دراسةٍ على مجموعةٍ من الثَّوابت والمتغيِّرات والتَّعريفات الإجرائيَّة والافتراضات (الفروض). يجب أن يحدَّد كل ذَلِكَ بوضوحٍ، ويصاغ بوضوح. وفي هٰذا الموضوع تفاصيل كثيرة يمكن متابعتها في المراجع المختصة.

بعد ذَلِكَ يبدأ الباحث بالعمل في الدراسة بشقيها النظري والتطبيقي. ينفَّذ الجانب التطبيقي على المجتمع المدروس، قد يكون المجتمع صغيراً فيدرس كلُّه، وقد يكون كبيراً فتدرس عينة منه، هٰذه العينة يجب أن تكون ممثلة للمجتمع الأصلي. كي تكون العيِّنة ممثلة للمجتمع الأصلي يجب أن تتوافر فيها شروط معينة تتعلق بالنسبة وطريقة الاختيار.

من ناحية النسبة أو النوع كلَّما صغر المجتمع كبرت النسبة المختارة، وكلما كبر المجتمع صغرت النسبة المختارة. عندما يكون المجتمع المدروس طلاب الشعبة الثانية من الصف الثالث تكون العينة هي كل الطلاب، أما عندما يكون المجتمع المدروس طلاب الصف الثاني في مدرسة يتم اختيار نسبة منهم، وعندما يكون المجتمع المدروس طلاب الصف الثاني في محافظة ما يتم اختيار نسبة منهم وليس الجميع.

من ناحية التَّمثيل لا يجوز أن يتمَّ اختيار العينة المدروسة من المجتمع اختياراً اتفاقيًّا ولا مزاجيًّا ولا تخطبطيًّا... وإنَّما هناك شروط يجب تطبيقها لدى

اختيار العينة، وهناك أكثر من طريقة لاختيار العينة. طريقة الاختيار هي التي تحدد الاسم. مبدئيًّا هناك بعض الاختلاف في التحديد والتسمية بَيْنَ المدارس البحثيَّة، ومهما يكن من أمر يمكن الحديث عن

العينة المقصودة– Quota Sample

العينة المنتظمة – Systematic Sample

العينة العرضية – Accidental Sample

العينة العشوائية البسيطة – Simple Random Sample

العينة أو العشوائية الطبقية – Stratified Random Sample

العينة الطبقية – Stratified Sample

العينة العنقودية – Cluster Sample

حجم العينة أو نوعها، وطريقة اختيارها ليست مطلقة الحريَّة وإنَّما هي منوط بطبيعة الدراسة والمشكلة المدروسة وتوزع المجتمع المدروس. وبعد تحديد العيِّنة تبدأ الدراسة بطريقة من طرق جمع البيانات الاستبيان أو الاستمارة أو غير ذَلِكَ. ثُمَّ يتم تفريغ البيانات ودراستها على ضوء معاملات إحصائية وتحليلية، ومناقشة النتائج بالعودة إلى الفروض لمعرفة مدى تحققها، وعلى ذَلِكَ تكون الأحكام أو النتائج التي النهائية للدراسة.

المقالة

شأنها شأن كثير من المفاهيم سيكون لها كثيرٌ من التعريفات، ولكنَّهَا بالضرورة يجب أن تدور في فلك واحدٍ، غير متناقضة ولا مختلفة اختلافاً يجعلها متنافرة أو متباعدة عن بعضها بعضاً.

المتوافق عليه في تعريف المقال أو المقالة أنَّهَا قطعة نثرية قصيرة أو متوسطة تتناول فكرة واحدة. تعالجها معالجةً سريعةً مكثفةً بأسلوبٍ لغويٍّ سهلٍ واضحٍ بعيدٍ عن الغموض والتَّعقيد والمداخل الاختصاصيَّة التي يُعنى بها المختصُّون وحسب. وهي وإن برز فيها الطَّابع الذَّاتي أو الرأي الشخصي فإنَّ ذَلِكَ لا يعني بعدها عن المنطق ولا افتقارها إلى المنهجيَّة العلميَّة المقترنة بطبيعة مادَّة المقال أو نوعه.

هل يجب أن نعود إلى تراثنا العربي القديم لنعرف إن كان أجدادنا قد كتبوا المقالة أم لا؟

رُبَّمَا لا يكون ذَلِكَ واجباً، ولكنَّهُ أمرٌ مستحسنٌ في نظري. ولا أظنُّ إلا أنَّ هناك من نهض لهٰذه المهمة ووجد ما وجد. لن نبحث في هٰذه المسألة، لأنَّ المقالة التي وجدت في تراثنا العربي القديم لم توجد تحت هٰذا الاسم الاصطلاحي، وهٰذا ليس عيباً ولا ينفي وجودها. يعنينا أن نشير هنا إلى أنَّ فن المقالة اصطلاحاً نشأ على يد الفيلسوف الفرنسي **ميشيل دي مونتين**[١٨] ـ Michel de Montaigne في القرن السادس عشر الذي كانت مقالاته تعبيراً ذاتيًّا عن تجربته الحياتيَّة. ثُمَّ ما لبث أن تابع الخطى وطورها الفيلسوف الإنجليزي **فرنسيس بيكون** الذي ركَّز

---

(١٨) . **ميشيل دي مونتين** . Michel de Montaigne أحد أكثر الكتاب الفرنسيين تأثيراً في عصر النهضة الفرنسيَّة. ولد في ٢٨ شباط/فبراير ١٥٣٣م وتوفي في ١٣ أيلول/سبتمبر ١٥٩٣م. رائد فن المقالة، بدأ بتقليد اليونانين والكلاسيكيين في عادتهم في رصف الحكم والأمثال في ثوب مسجوع، وتأثر كثيراً بكتابات أرسطو، ولكنَّهُ تفرد بأسلوبه المرسل الذي كان أساس نشأة فن المقالة، وظهرت شخصيته بوضوح. (انظر الموسوعة الحرة).

علـــى الموضـــوعيَّة وجـــدد في الأنـــواع منـــتقلاً خاصَّـــة إلى الموضـــوعات الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة.

أما المقالة الأدبيَّة التي كانت سبب اشتهار هٰذا الفن وانتشاره واستقلاله أيضاً فلم تظهر إلا في القرن الثامن عشر، ولَعَلَّ أبرز الأسباب التي أدَّت إلى ذَلِكَ هي انتشار الصحافة وتطورها في تلك الفترة. ومع القرن التاسع عشر تنوعت موضوعات المقالة وميادينها حَتَّى مختلف المناحي تقريباً.

إنَّ الحديث في المقالة، بعد المفهوم والنشأة، يستدعي الوقوف عند أربعة مفاصل محوريَّة هي الأقسام والعناصر والخصائص والأنواع. بالكاد نجد متحدثاً على المقالة لا يقف عند هٰذه المفاصل.

أولاً: أقسام المقالة

بعضهم يجعل الحديث عن الأقسام تحت بند منهج أو خطَّة المقالة الذي هو أحد عناصر المقالة وفق كثيرين. ولكن الكثيرين يكثرون من الحديث عن هٰذه الأقسام حديثاً مستقلاً تحت العنوان ذاته أو تحت عنوان عناصر المقالة. بل ثَمَّةَ الكثير ممن لا يجد ما يتحدَّث عليه في المقالة بعد التَّعريف والنَّشأة إلا هٰذه الأقسام. وكلُّهم يجمعون على أنَّ هٰذه الأقسام هي المقدِّمة والخاتمة وبينهما العرض أو المتن أو الموضوع.

هٰذا كلامٌ جميلٌ، وتبسيطٌ إلى أبعد الحدود، ينطبق على أيِّ نصٍّ مهما كان مثلما ينطبق على المقالة. ولذلك فإنَّ هٰذه الأقسام لا تنفصل عن الخصائص والعناصر وحَتَّى الأنواع بحالٍ من الأحوال. لأنَّ هٰذه المفاصل الأخرى هي التي تحدِّد كيفيَّة أو كيفيَّات بناء هٰذه الأقسام وخاصَّة المتن منها.

ثانياً: عناصر المقالة

رُبَّما نجد خلافاً في عدد عناصر المقالة وأسماءها، ولكن ما لا خلاف عليه أنَّهَا تتكون من ثلاثة عناصر هي المادة والأسلوب والمنهج.

١- المادة: هي مضمون المتن أو الموضوع. للمادَّة مستويين من التَّحديد، أوَّلهما ما يتعلَّق بالنَّوع وثانيهما ما يتعلَّق بتكوين الموضوع. فالمادة تكون فلسفيَّة أو علميَّة أو سياسيَّة أو تاريخيَّة... أمَّا تكوينها فهو ما يقدِّمه الكاتب من آراء ومواقف وأفكار وحقائق وغير ذَلِكَ كثير.

٢- الأسلوب: نحن هنا أمام كيفية استخدام اللغة في التَّعبير عن الموضوع المراد. المقالة خلاف مختلف أنواع الكتابة تحتاج إلى وفرة في البلاغة، وجماليَّة التَّعبير. والذي لا يستغنى عنه أبداً هو الفهم الواضح لما يراد التَّعبير عنه، فما لم يكن هناك فهمٌ واضحٌ لما يراد التَّعبير لا يمكن أن يكون التَّعبير عنه واضحاً.

٣- المنهج: المنهج هو طريقة عرض الموضوع من خلال الأسلوب. ليس هناك منهجٌ واحدٌ، وقد يصعب اعتماد منهج واحدٍ فقط في العرض. قد يكون المنهج وصفيًّا، أو تحليليًّا، أو نفسيًّا، أو منطقيًّا، أو غير ذَلِكَ.

ثالثاً: أنواع المقالة

درجت العادة والتَّقليد على القول بنوعين للمقالة هما المقالة الأدبيَّة والمقالة العلميَّة، ثُمَّ قيل: وهناك الخاطرةً نوعاً من أنواع المقالة. ثُمَّ وجد حديثاً من يقسم المقالة إلى نوعين أساسيين هما المقالة الذاتية والمقالة الموضوعيَّة، وثَمَّةَ من يضع تحت كلٍّ منهما أنوعاً فرعيَّة، فتحت

المقالة الذَّاتيَّة هناك مقالة الصورة الشَّخصيَّة، والمقالة الاجتماعيَّة، والمقالة الوصفيَّة، ومقالة التَّأمُّل النفسي، وتحت المقالة الوضعيَّة هناك المقالة العلمية، والمقالة التَّاريخيَّة، والمقالة النَّقديَّة.

من خلال تعريف المقالة وخصائصها والأنواع سالفة الذكر يمكننا القول: إِنَّهُ لا توجد مقالة ذاتيَّة لأنَّ كل أنواع المقالة تتسم بالذَّاتيَّة ناهيكم عن أن الذاتيَّة وصف لطبيعة عرض المادَّة. والأمر ذاته ينطبق على الموضوعيَّة بوصفها مقابلاً للذاتيَّة، فالموضوعيَّة تعني عدم تدخل الأيديولوجيا أو الفكر المسبق في تناول المادة موضوع المقال. أما الوصفيَّة فهي ليست نوعاً للمقالة وإنَّما هي منهج في تناول الموضوع إلى جانب كثيرٍ من المناهج التي سبق الكلام فيها. تبقى الخاطرة أخيراً، لا بأس من إدراجها بَيْنَ أنواع المقالة، ولكن إذا علمنا أنَّ كلَّ أنواع المقالة ضربٌ من ضروب الخاطرة، لم يعد ما يدعو إلى إفراد نوع لها بَيْنَ الأنواع.

النقد

إذا فتحنا لسان العرب وجدنا أنَّ النَّقد فيه هو «تمييز الدَّراهم وإخراج الزيف منها»[١٩]. لهذا معنى الجذر، ومن الطبيعي أن تدور التفاصيل الأساسيَّة الأوليَّة في فلك هذا المعنى في لسان العرب، أي في الأساس اللغوي. ثَمَّةَ مستويات دلاليَّة أخرى للكلمة، قد تبدو بعيدة عن المعنى السَّابق، ولكن التمحيص فيها يدل على أنَّهَا تنبني على مبدأ الحكِّ لاستجلاء ما قد خفي. ولهذا ما أشار إليه ابن فارس في هذا

(١٩) . ابن منظور: **لسان العرب** . مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي . بيروت . ١٩٩٣م . مادة نقد.

الجذر إذ قال: «النون والقاف والدال أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على إبراز الشيء»[٢٠].

المعنى الاصطلاحي للنَّقد منبثق من هٰذا الأساس اللغوي، ومثل ذَلِكَ يصح على أي اصطلاح بالضرورة، لأنَّ الأصل تحدد الاصطلاح هو نشوء ممارسة، سلوك، فعل... نبحث في اللغة عما يعبر عنها فنختار المفردة اللغويَّة التي تدلُّ على المعنى أو نشتقها اشتقاقاً، ولا يحدث أبداً أن نخترع الكلمة أو الاصطلاح ثُمَّ نبحث عن مضمون لها. وعلى أيِّ حال فإنَّ النَّقد استقرَّ اصطلاحيًّا وفق **جميل صليبا** على أحد معنيين وثالثٍ بطل استعماله هي:

١ ـ «النقد بالمعنى العام هو النَّظر في قيمة الشَّيء. فانتقاد المعرفة هو النَّظر في قيمة المعرفة؛ هل هي ممكنة. وما هي شروط إمكانها وحدودها»[٢١]؟ وهٰذا ما بنيت عليه النقدية الكانتية وحَتَّى الفلسفيَّة عامَّة، وتحت هٰذا المعنى فروع وأنواع.

٢ ـ «النقد بالمعنى الخاص هو إظهار عيوب الشيء دون محاسنه، وهو النقد السلبي، وعكسه النقد الإيجابي»[٢٢].

من الطرافة بمكان أنَّ المعنى الخاص هو الأكثر ممارسةً، والمعنى العام هو الأقل اشتهاراً. لقد انقلب الخاص إلى عامٍّ والعام إلى خاصٍّ. بل من باب الطرافة أيضاً أن النقد صار في العرف والممارسة هو التثليب، البحث عن المثالب

---

(٢٠) ـ ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة** ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ١٩٧٢م ـ مادة نقد.

(٢١) ـ جميل صليبا: **المعجم الفلسفي** ـ الشركة العالمية للكتاب وآخرون ـ بيروت ـ ١٩٩٤م ـ مادة انتقاد (ج١).

(٢٢) ـ م. س ـ ذاته.

والمعايب وحسب. ولا نعنى بسوء الممارسة جهلاً أو قصداً. ولكنَّ اقتصار النقد على المشي على رجل واحدةٍ لم يغير في مفهومه الاصطلاحي.

لنلق نظرة على التعريفات المعاصرة للنقد. رُبَّما تكون كثيرة جدًّا، نحن نسقف عند أنموذجين. يمهد **چراهام هو** لتعريف النقد بقوله: يجب أن نفترض بادئ ذي بدءٍ أنَّ المسألة الأدبيَّة مفتوحةٌ للنقاش العقلي، ولا نستطيع في كثيرٍ منها أن نتوقع بلوغ اليقين، غير أنَّ الأحكام الأدبيَّة لا تقتصر على أن تكون (مسألة ذوق) على نحو ما نفضِّل الشاي أو القهوة. فنحن نستطيع أن نقدِّم تعليلاً لآرائنا الأدبيَّة، وحيثما نستطيع أن نقدِّم تعليلاً بإمكاننا أن نأمل أن نقنع ونقتنع، ونصل من ثَمَّ إلى نتيجةٍ»[٢٣]. يعلق متابعاً بأنَّ هٰذه الممارسة هي النقد، يقول: «يدعى فن أداء عملنا هٰذا: النقد الأدبي»[٢٤].

رولان بارت من آخر طرز النقد والنقاد، وهو من أشهر النُّقاد اليوم في العالم. كتب مقالة بعنوان: ما النَّقد؟ وأجاب باختصارٍ شديدٍ كلاماً قالته العرب قديماً إذ قال: «النَّقد هو خطاب حول خطاب، أو هو لغة واصفة». وهٰذا الجواب عين ما قاله **الجاحظ والتوحيدي**، ولم يخترعاه، من أنَّ النقد هو كلام على الكلام. ورأى **بارت** أنَّ النقد يقوم على علاقتين؛ علاقة الناقد بلغة الكاتب، وعلاقة الكاتب ذاته بالعالم.

على الرَّغْمِ من قيام الممارسة النقدية على تعريف واصطلاح يمكن القول إِنَّهُ واحد، إلاَّ أن هٰذه الممارسة النقدية اتخذت مسارات متباينة، اتَّسم كلُّ مسار

---

(٢٣) . غراهام هو: **مقالة في النقد**. ترجمة محي الدين صبحي. مطبعة جامعة دمشق. دمشق. د. ت. ص٦.

(٢٤) . م. س. ذاته.

بجملةٍ من الخصائص، هٰذه الخصائص المشتركة استدعت تسميتها بالمدرسة النقدية. معظم المدارس أو الاتجاهات النقدية حملت اسمها مع نشأتها مثل المدرسة أو الاتجاه الشكلاني، واللسانية، والبنيوية، وما بعد البنيوية، والماركسية، ومدرسة التحليل النفسي... ولكن ما قبل ذَلِكَ كله تقريباً اندرج تحت اسم المدرسة أو الاتجاه التقليدي أو المدرسي.

التحقيق

التَّحقيق من مصدر الحق. وهو التَّحقُّق من مصدرٍ تراثي . يقصد به غالباً نصًّا مخطوطاً . كبيرٍ أو صغيرٍ، وطبعه بوسائل الطِّباعة الحديثة. وليس أيُّ نشرٍ لأثرٍ مخطوطٍ يعدُّ تحقيقاً، وإنَّما التَّحقيق يقوم على التَّحقُّق والمناقشة وسدَّ الفراغ، وملء النَّقص، وتصويب الخطأ، وتعريف المجهول... وهلم جرًّا. ولذَلِكَ للتحقيق شروط من أصولٌ وضوابط قواعد ومبادئ ومراحل يجب مراعاتها. مدى مراعاة هٰذه الأصول مجتمعةً، إلى جانب المهارة الشخصيَّة، هو الذي يحدِّد مستوى النَّجاح والإخفاق في العمل.

أولاً: اختيار المخطوط

على المحقق أن يبذل ما يكفي من الجهد لاختيار الكتاب المراد تحقيقه حَتَّى لا يضيع جهده في تحقيق كتابٍ تَمَّ تحقيقه. هناك مخطوطاتٌ منشورةٌ من دون تحقيق أو بتحقيق سيء، مثل هٰذه المخطوطات لا بأس من إعادة تحقيقها. يمكن بل يجب الاستفادة من الخبراء والمختصين في اختيار المخطوط، وهناك مختصون أجلاء نشروا فهارس الكتب المخطوطة المحقَّقة، ولكنَّ مثل هٰذا الجهد تضاءل منذ

سنين، ولذلك على المحقِّق المتابعة بنفسه بَيْنَ المكتبات الكبرى لمعرفة وضع الكتاب الذي يريد تحقيقه.

ثانياً: جمع نسخ المخطوط[٢٥]

لتحقيق مخطوط ما لا بُدَّ من معرفة نسخِهِ المخطوطة في شتَّى مكتبات العالم المختلفة[٢٦]، ولَعَلَّ من البداهة القول إِنَّهُ غالباً لا يمكن الحصول بوجه قاطع على جميع المخطوطات التي تخصُّ كتابًا واحدًا محدَّداً، اللهم إلا على وجهٍ تقريبي، وفي بعض الحالات الخاصَّة. فمهما أجهد المحقِّق نفسه للحصول على أكبر مجموعةٍ من المخطوطات فإِنَّهُ سيجد وراءه معقِّبًا يستطيع أن يظهر نسخًا أخرى من كتابه، ولهذا موجب السعي. قد تكون نسخ مخطوطات الكتاب كثيرةً أو قليلةً، وقد تكون هناك نسخةٌ فريدةٌ. إذا كانت فريدة أو وحيدة فلا حول ولا قوة، أما إذا كانت متعدِّدة فعلى الباحث فهرستها، ودراستها قبل جمعها دراسة أوليَّة من أجل اختيار النَّماذج الأفضل من مراحل مختلفة، وأماكن مختلفة، ونُسَّاخٍ متعددين.

---

(٢٥) . هذه الفقرة/ العنصر منقولة باختصار عن بحث عبد الله الحمراني: تحقيق المخطوطات . المنشور على صفحات الشابكة (Internet)، وعليه كان اعتمادنا في معظم هذا الفصل، وكل التضمينات موثقة في بحثه وعلى مسؤوليته.

(٢٦) . ذكر الفيكونت فيليب دي طرازي في كتابه: **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، أن هناك أكثر من ألف وخمسمائة مكتبة في العالم تضم المخطوطات العربية، ذكر منها في مصر (١٦) مكتبة، وفي الجزائر (٥)، وفي فلسطين (٦)، ولبنان (٣)، وسوريا والعراق والحجاز واليمن (١٥)، والمغرب الأقصى (١٠)، وتونس (٧)، والولايات المتحدة (٢٨٥)، وألمانيا والنمسا (١٤٥)، والاتحاد السوفياتي (١٢٠)، وبريطانيا (٧٦)، وفرنسا (٦٧)، وإيطاليا (٤٨)، وسويسرا (٢١)، وهولندا (١٥)، وبلجيكا (١٣)، واليابان (٩)، والدنمارك (٦)، واليونان (٢)، والهند (٣)، وإيران (٢)، وفي هذه المكتبات جميعًا نحو ٢٦٢مليون مجلد.

ثالثاً: منازل النسخ

لأهل التحقيق اعتبارات عدَّة في معرفة منازل النُّسخ، فمنهم من يجعل تلك الاعتبارات ثلاثة، ومنهم من يزيد إلى ثمانية. قام عبد الله الحمراني بدمجها في ثلاث عناصر نعتمد عليه في تقديمها. وهي تحدي قِدَمُ النُّسخة من خلال الشروط اللازمة، وعلم الناسخ ومستواه وكفاءته، وتحديد درجة كمال النَّسخة ومدى النَّقص فيها. النُّسخة الكاملة تعطي نفسها أحقيَّة تقديمها على مثيلاتها النَّواقص. ولكن هناك حالات يتعذر معها وجود نسخة كاملة، هنا أمام المحقق العمل على استكمال ذَلِكَ من تضمينات الآخرين[٢٧] إذا كانت موجودة. أمَّا إذا لم يكن ذَلِكَ فلا حلَّ سوى الإشارة إلى النَّقص المتعذر ملؤه في موضعه، مثل مخطوط كتاب الجلال **لكاسيوس لونجينوس**[٢٨].

رابعاً: ترتيب النسخ

بعد جمع النسخ والنظر يجب على المحقِّق أن يرتب هٰذه النسخ المعتمدة من جهة علو الدَّرجة إلى أصول أساسيَّة وأصولٍ ثانويَّة.

أما الأصول الأساسية فأولها وأعلاها نسخة بخطِّ المؤلف. وثانيها المنقولة عن نسخة المؤلف. وثالثها المقابلة بنسخته. ورابعها مخطوطات تخلو من الحدود السابقة، تعد هٰذه أساسيَّة في حال انعدام السابقة، وثانوية في حال وجودها.

أما الأصول الثانوية فأولها الشُّروح المتضمنة للمتون، وثانيها الأصول القديمة المنقولة في حين أصولٍ أخرى. وهٰذه للاستعانة بها لا لتحقيقها.

---

(٢٧) . هٰذا ما قمنا به مثلاً لدى جمعنا **رسائل أبي حيان التوحيدي** التي صدرت عن وزارة الثقافة بدمشق عام ٢٠٠٠م.

(٢٨) . هكذا نشر هٰذا الكتاب في عدد من اللغات من ترجمتنا له عن اللغة الإنجليزية.

إلى جانب ذَلِكَ هناك **الاقتباسات** التي استخدمها مؤلفون آخرون، يستفاد منها في المقارنة والتصحيح. وهناك **النسخ المطبوعة** فما فقدت أصوله فلا قيمة له، وإنَّما يمكن الاستفادة منها في تحقيق غيرها إذا وثقنا في الناشر.

خامساً: وصف النسخ المعتمدة

هنا يقوم المحقق بوصف النسخ المعتمدة. ثُمَّ يرمز لكلِّ نسخةٍ منها برمزٍ خاصٍّ (حرف أو اثنين) يعود إلى المؤلف أو المكان أو المحقِّق. هناك سبعة عناصر أساسيَّة في وصف نسخ المخطوطات، وهٰذه العناصر هي: مكان النسخة، ورقم الحفظ، وعدد الصَّفحات ومقاسها وأسطرها ومتوسط عدد الكلمات، ووصف خط النسخة؛ ألواناً، ومداداً ونوع خطٍ وغير ذلك من وصف الخط، وصفحة العنوان، واسم الناسخ وتاريخ النُّسخ، وحال النُّسخة.

سادساً: تحقيق عنوان الكتاب

هناك مخطوطات إمَّا خالية من العنوان أو عليها عنوانٌ غير صحيحٍ. وفي الحالين كليهما على المحقِّق التَّحقُّق من عنوان المخطوط بالطُّرق اللازمة والمناسبة.

سابعاً: تحقيق اسم المؤلف

أيضاً قد يصل إلينا مخطوطٌ عليه العنوان ولكنَّهُ خالٍ من اسم المؤلف. إذا تحققنا من العنوان يغدو الأمر سهلاً نوعاً ما بالرجوع كتب الفهارس، وهناك مشكلة أخرى هي احتمال ذكر مؤلف آخر على الكتاب المخطوط بقصد التزييف أو جهلاً أو تخميناً، وهٰذا أيضاً مدعاة للتحقيق والتحقق من اسم المؤلف.

ثامناً: تحقيق المتن

بعد الخطوات السابقة كلاً ومجتمعة يمكن للباحث أن يبدأ بتحقيق المخطوط. ثَمَّةَ من سيقول أليس من الممكن تحقيق المخطوط ثُمَّ العودة إلى تلك الخطوات كونها شكليَّة وخارجيَّة؟

هٰذا السؤال يشبه سؤال أحدهم: ألا يمكن للمرء أن يصلِّي من غير وضوء؟ بلى يمكنه أن يصلي، ومن سيمنعه؟! يمكن للمحقق أن يباشر تحقيق المتن من دون تحقيق الشروط السابقة. ولكن ماذا ستكون النتيجة؟

إنَّ تحقيق متن الكاتب غير منفصل على الإطلاق عن المؤلف خاصَّة، وعن العنوان بعده. بالدرجة الأولى. وغير منفصل عن بالإطلاق عن جودة المخطوط ورداءته، وغير منفصل عن اعتماد نسخة من المخطوط دون سواها. وفي تحقيق المتن تبرز مهارة المحقق. التحقيق، ختاماً كما البدء، ليس نقل النَّص من خط اليد إلى المطبعة فقط، وإنَّما يحتاج المحقق إلى المهارة الشخصيَّة والإبداعيَّة إلى جانب ثقافته التي كلَّما اغتنت أفاد منها في التَّحقيق أكثر، وأخرج تحقيقاً للمخطوط أكثر غنى وصواباً وتوضيحاً. ومن أبرز ما على المحقِّق فعله في تحقيق المتن، إلى جانب إخراج النَّص الصَّحيح من خلال القراءة والمقارنة بَيْنَ نسخ المخطوط والمقبوسات إذا لزم الأمر، هو تبويب النص إن كان غير مبوب، وتبنيد فقراته، والتعريف بالمجاهيل، وتوضيح الغوامض، وشرح الاصطلاحات.

العرض

العرض عامة هو تقديم قراءة موجزة أو تلخيصيَّة لنصٍّ ما قد يكون كتاباً صغيراً أو كبيراً، وقد يكون بحثاً، وقد يكون مقالاً أو غير ذَلِكَ مِمَّا يدور في هٰذا الإطار من قبيل المخطوطات، والرَّسائل الجامعيَّة على سبيل المثال.

قلنا قراءة تلخيصية أو موجزة، نعم، هٰذا صحيحٌ ولكن تيسيراً وتسهيلاً، فالعرض يختلف عن التلخيص من جهة الغاية والطريقة، ففي حين أن التلخيص تكثيف لمضمون الكتاب من معلومات وأفكار حسب المؤلف، فإنَّ العرض تكثيف للمضمون من خلال شخصيَّة العارض وأفكاره. أي في حين يكون مرور مريد التَّلخيص خارجيًّا على الكتاب، فإنَّ العارض يقفز إلى ما وراء السطور وما بَيْنَ المعاني، ورُبَّما للمقارنة مع غيره من كتب. ولهٰذا ليس عملاً هامشيًّا أو عابراً كما يتخيل بعضهم، وإنَّما هو عمل يقول به أدباء ومفكرون وصحافيون محترفون.

ليس هناك قاعدة أو قواعد محددة يجب التزامها في عرض الكتاب أو النص، ولكن هناك نقاط أو محاور عامة شكليَّة أو هيكليَّة لا تتدَّخل في المضمون الذي يقع على عاتق عارض النَّص أو يملؤه بخصوصيته وطريقته.

الخطوة الأولى التي يجب بمستوى من مستويات الوجوب أن يقوم بها العارض هي التَّعريف بهويَّة الكتاب أو النَّص الشَّكليَّة أو الخارجيَّة من خلال تقديم المعلومات الأساسيَّة عنه المتمثِّلة بالأمور التَّالية التي

يمكن تقسيمها إلى قسمين أولهما لا غنى عنه وثانيهما مرتبطٌ بخصوصيَّة العارض. أمَّا القسم الأول فيتضمن العناصر التالية: اسم الكتاب، واسم المؤلف، ودار النشر، ومكان الناشر، ورقم الطبعة وتاريخ النَّشر.

وهٰذه ما تسمَّى عناصر التَّوثيق الأساسيَّة الَّتي تحتاج إلى استكمالٍ في حال وجود خصوصيَّةٍ إضافيةٍ مثل التَّرجمة أو التَّحقيق أو عدد الأجزاء أو عدد الصَّفحات أو غير ذَلِكَ من حالات؛ منها إذا لم يكن النص كتاباً؛ أي كان بحثاً في مجلة أو غيرها. أما القسم الثَّاني المرتبط بخصوصية العارض من جهة طريقة العرض وأسلوبها فهي:

– يمكن للعارض أن يبدأ عرضه أو ينهيه بتعريف مكثف لصاحب النص أي الكاتب أو المؤلف، على أن لا يأخذ حيزاً واسعاً أبداً... لا يجوز أن يتعدَّى الأسطر القليلة جداً.

– عدد فصول الكتاب أو عدد العناوين الأساسية للبحث... وعناوينه.

– تقديم تعريفٍ بالموضوع الذي يتناوله النَّصُّ من خلال النَّص ومن ضمنه، ولا بأس أحياناً من الاجتهاد في سياق الأصل ومضمونه.

– عرض النَّص عرضاً موجزاً أو تلخيصيًّا على ضوء ما أشرنا قبل قليل. وهٰذا هو المتن الأساسي للعرض.

عرض النص هنا كما أشرنا هو المتن أو البنية الأساسيَّة التي يعمل عليها العارض. وهنا لا توجد قاعدةٌ واحدةٌ ولا قواعد محدَّدة صارمةً يجب أن يتَّبعها كلُّ عارضٍ، وإنَّما هناك خصائص شخصيَّة وثقافيَّة واهتماميَّة تؤثر الأثر الأكبر في طريقة العرض ونوعها ومضمونها وأسلوبها

ومدى قوَّتها وضعفها... وغير ذَلِكَ كثيرٌ جدًّا من العوامل. وفيما يلي نتحدَّث عن بعض أبرز أنواع عرض الكتب التي نقرر سلفاً أنَّهَا لن تكون الوحيدة بالضَّرورة:

أولاً: العرض التلخيصي

يقوم العارض هنا بقراءة النَّصِّ أو الكتاب ويعود إليه بالتَّلخيص إمَّا من خلال فصوله وفقراته متتابعةً أو مجملةً تبعاً لقدرات العارض وخصائص شخصيَّته في طريقة العرض، ولكن يجب الانتباه هنا أَنَّهُ لا يجوز للباحث التَّدخل تحريفاً أو تغييراً أو تدويراً في المضمون لأنَّ جلَّ ما يفعله هو اختصار النَّص وتلخيصه من دون إخلال به. ولذلك يسمَّى هٰذا النوع من العرض بالعرض الموضوعي.

ثانياً: العرض التعريفي

ينطوي هٰذا العرض أيضاً تحت العرض الموضوعي الذي يجب فيه على العارض أن يظلَّ حياديًّا مع النَّص الذي يعرضه. ويمرُّ بالمراحل ذاتها التي يمرُّ بها العرض التَّلخيصي، والفرق بينهما أنَّ العرض التَّلخيصي ينطلق من النَّص وينتهي فيه، أمَّا العرض التَّعريفي فينطلق من العارض وينتهي في النَّص، فثقافة العارض وهويته هي التي تتحكم بالعرض، ونجدها واضحةً فيه، مع الانتباه إلى أنَّ الحياديَّة يجب أن تظلَّ سيدة الموقف.

ثالثاً: العرض التحليل النقدي

في طريقة العرض هٰذه نحن أمام بنيةٍ مختلفةٍ اختلافاً كبيراً عن الطريفتين أو النَّوعين السَّابقين. فهنا يقوم العارض بعملٍ قريب من عمل الباحث إذ يقوم بتحليل النَّصِّ ومناقشته وإبداء رأيه وموقفه ومناقشته له. يجب أن يكون ذَلِكَ كله تحت إطار ممارسة نقديَّة علميَّة لا على أساس أي عوامل شخصية.

رابعاً: العرض الدعائي والإعلاني

رُبَّما لا يفضل إدراج هٰذا النوع بَيْنَ أنواع عرض الكتب لأَنَّهُ لا يقوم على أيِّ جهدٍ على الإطلاق، ولا يهدف إلا إلى إخبار القارئ؛ قارئ الجريدة أو المجلة أو موقع الشَّابكة بأَنَّهُ صدر بحثٌ أو كتابٌ بالاسم والعنوان. أي إنَّ مهمَّة العارض هنا تقتصر على عرض عناصر التَّوثيق التي ذكرناها بداية وهي اسم المؤلف والكتاب والناشر ومكانه وتاريخ النَّشر ورُبَّما يضاف عددٍ الصَّفحات، ورُبَّما أيضاً بعض المعلومات الأساسيَّة الأخرى من قبيل عدد الأجزاء مثلاً.

الخاتمة

فنون الكتابة وأنواعه ليست هٰذه التي سبق الحديث فيها وحسب، وإنَّما يمكن القول إنَّهَا هي الأساسيَّة، هناك أنواع أخرى أيضاً مثل التَّأريخ، والاختصار، والتلخيص، والشرح، والتعليقات، والحواشي ورُبَّما غير ذَلِكَ.

ولكن مما يجب أن نتذكره جيداً هنا أننا تكلمنا هنا عن فنون الكتابة غير الإبداعيَّة مثل الشعر والقصَّة والمسرح وغيرها مما يندرج تحت إطار فنون الأدب،

فهٰذه الفنون لها طبيعتها وخصوصيتها التي تنطبق على نوعاً على الكتابة البحثيَّة، بينما ما ينطبق على فنون الكتابة البحثية لا ينطبق على فنون الكتابة الإبداعيَّة، وهٰذا موضوع كتابنا الطريق إلى الإبداع؛ نحو نظرية جديدة في الإبداع.

الفصل الرابع

اختيار البحث وإعداده

عناصر الفصل

مقدمة

اختيار البحث والموهبة

شروط اختيار البحث

إعداد البحث

خاتمة

* * *

احفـــر أينمـــا شـــئت تجـــد كنـــزاً،
ولكن عليك أن تحفر بإيمـان الفلاح.

جبران خليل جبران

مقدمة

ينقسم هٰذا الفصل إلى ثلاثة عناصر أساسيَّة هي علاقة اختيار البحث بالموهبة، وبعدها شروط اختيار البحث، وبعد الشروط إعداد البحث.

إذا كان من السهل عدُّ علاقة اختيار البحث بالموهبة موضوعاً أو فكرةً مستقلَّةً فإنَّهُ من الصعوبة بمكان، في حقيقة الأمر، الفصل بَيْنَ شروط اختيار البحث وإعداده. إنَّ شروط اختيار البحث شروطٌ تبدو منطقية أو منهجيَّة ولكنَّهَا في حقيقة الأمر جزء أساسيٌّ من إعداد البحث، فإنَّ الاهتمام يضمن تصوراً عن الموضوع المبحوث، والجدة تعني الوقوف على قيمة البحث ومكانته من الأبحاث المشابهة المطروقة، وكذَلِكَ شأن الأهميَّة والفائدة. هٰذا يعني أن تحقق هٰذه الشروط يمثل نصف إعداد البحث.

في المقابل فإنَّ إعداد البحث لا ينفصل عن شروط اختياره فالنظر في المراجع سابقٌ ولاحقٌ على اختيار الموضوع والبدء بالإعداد. والتَّقميش جزءٌ من القراءة أو الرُّجوع إلى المراجع.

إذن ما بَيْنَ الشُّروط والإعداد سلسلة متكاملة يصعب الفصل بَيْنَ مكونها إلا من الناحية النظريَّة أو الذِّهنيَّة، وهي في الوقت ذاته لا تنفصل عن علاقة اختيار البحث وإعداده بالموهبة. كتابة البحث ليست عمليَّة آليَّة مثل أيِّ عمليَّةٍ أخرى غير إبداعيَّةٍ. إنَّ العمل الحرفيَّ أو المهنيَّ أو أيَّ عملٍ يندرج تحت هٰذا

الإطار يحتاج ليكون متقناً إلى نَفَسٍ إبداعيٍّ، ولكن مع ذَلِكَ يمكن للمحترف أن يمارس عمله مهما كان مزاجه، أما المبدع أو العمل الإبداعي، والبحثي منه، فلا يمكن أن يستطيع المبدع/ الباحث أن يمارسه ما لم يكن متأهباً نفسيًّا ومستعدًّا.

اختيار البحث والموهبة

البحث كأيِّ عملٍ إبداعيٍّ يقومُ على فكرةٍ أساسيَّةٍ أَو رئيسيَّةٍ أَو محوريَّةٍ تتشعَّب وتتوسَّع وتغتني بأفكارٍ جزئيَّةٍ حَتَّى يتمَّ التَّعبير عن هذه الفكرة بما يتناسب مع يريده الباحث أَو المبدع.

إذن اختيار البحث هو اختيار الفكرة التي يقوم عليها البحث. والخطأ الذي يقع فيه الكثيرون الذين يعانون من اختيار البحث هو بحثهم عن بحث؛ إنهم يحاولون تخيل بحث يختارونه، أَو يقيسون على بحثٍ يعرفونه، كالقاص الذي يريد أن يكتب القصَّة فيبحث عن قصَّة في ذهنه أَو الواقع ليكتبها كما هي أو بطريقته فإذا لم يجد هذه القصَّة لم يكتب قصِّة، ولذلك غالباً أَو دائماً تأتي قصص هؤلاء أَو رواياتهم أَو قصائدهم أَو أبحاثهم... باهتةً، مصطنعةً، سطحيَّةً، فارغةً... بعضَها أَو كلَّها معاً.

اختيار الفكرة ليس معضلة ولا معجزة فكلُّ رأسٍ بشريٍّ تدور فيه في اليوم عشرات بل رُبَّما مئات الأفكار. ولذلك قال **الجاحظ**: «الأفكار منثورة أَو مفروشة على قارعة الطرقات»، أي إنَّها مبذولة لكلِّ النَّاس على حدٍّ سواء. ولذلك أيضاً عندما شكا أحد كتاب القصة **ليون تولستوي** أنَّهُ لا يجد ما يكتبه، قال **تولستوي**: «أترى موسكو؟... أترى بيوتها؟ في كلِّ بيتٍ قصَّة... مهمتك أن تكتشفها». وثَمَّةَ الكثير من الأخبار المشابهة في المبدأ التي تؤكِّد في

المحصلة الفكرة التي ندافع عنها، وأظنها من المسلمات عند المبدعين، وهي أنَّ الأفكار كثيرةٌ، وتبقى كثيرةً مهما نهل المبدعون من معينها.

الذي تجدر الإشارة إليه هنا هو أنَّ الفكرة مجرَّدةً قابلةٌ للتقولب في أيِّ نمطٍ إبداعيٍّ تبعاً للمبدع الذي يفكر في تناولها موضوعاً له. فالفكرة ذاتها يمكن أن يعبر عنها أَو تتناول بقصيدة أَو لوحة أَو رواية أَو بحث أَو غير ذلك، أَو كلِّ ذلك كلٍّ على حدةٍ. وكلُّ فكرة يمكن أن تكون قابلةً لهذه المطواعيَّة اللهم إلا القليل من النادر من الأفكار التي تتطلب قالباً معيَّناً. إذن المشكلة ليست في قِلَّةِ الأفكار أَو عدم وجودها، وإنَّما هي في اختيار الفكرة.

مبدئيًّا أؤكِّد أنَّ الباحثين أَو المبدعين الحقيقيين المحترفين لا يعانون أبداً أو كثيراً في اختيار الأفكار فهم دائماً لديهم الكثير من الأفكار التي تنتظر دورها من الوقت والجهد الذي يُخَصَّصَ لها. ذلك أنَّ عنصراً أساسيًّا من عناصر الموهبة أَو الملكة الإبداعيَّة هو القدرة على اقتناص الأفكار أَو حَتَّى القدرة على تحويل أيِّ فكرةٍ عاديَّةٍ إلى فكرةٍ قابلةٍ للتَّقولب في صياغةٍ فنيَّةٍ أَو إبداعيَّةٍ؛ شعراً، قصَّةً، روايةً، لوحةً، بحثاً...

إذن اختيار الفكرة جزء من الموهبة أَو الملكة الإبداعيَّة التي ينبغي أن يتمتَّع بها الباحث أَو المبدع عامَّةً، وَبَقَدْرِ قوَّةِ الموهبة تكون البراعة في اختيار الأفكار وَوَفْرَتِها أمام الباحث. والعالم الأساسي الذي يساعد هذه الموهبة ويغذيها هو المخزون المعرفي والثَّقافي الذي يمتلكه الباحث أَو المبدع. ذلك أنَّهُ كلما ازدادت معرفة المرء واتَّسع وعاء ثقافته تنوعت الفرص أمامه وكثرت، وانفتحت آفاق الاختيار له واتسعت، لأنَّ الباحث أَو المبدع إذا ما تحقَّق له ذلك كان على بَيِّنةٍ مما تمَّ تناوله ويتم وكيفيَّات هذا التَّناول ومدى التَّقصير فيها ومدى السَّبق،

وكذلك يكون على بيِّنةٍ مما لم يتم تناول بعد. ولذلك نجدنا نلحُّ كثيراً على أهميَّة الثَّقافة للباحث والمبدع. وعلى العكس فإنَّ ضحالة الثَّقافة والمعرفة وإنَّ كانت من النَّاحية النظريَّة تجعل الخيارات مفتوحةً أكثر أمام الباحث فإنَّها في حقيقة الأمر تلعب الدور المعاكس تماماً لأنَّها تضيِّق دائرة الحركة والاختيار، وتجعل الخيارات التي يتم الوقوع عليها خيارات معرَّضة للتَّكرار، وبسبب ضحالة المعرفة والثَّقافة يكون احتمال رداءة العمل البحثي أكبر بكثير من احتمال تفوّقه. وكثيراً ما نصادف (باحثين) أو (مبدعين) يفاخرون بأَنَّهُم كتبوا ما لم يسبقهم إليه أحدٌ ولن يأتي بمثله أحدٌ، وما لا يقدَّم عليه، ونفاجئ عندما نعلم ما كتبوا أَنَّهُم سُبقوا كثيراً ورُبَّما وغالباً ما يكون إنجازهم أقلَّ قيمةً من كلِّ ما كتب!! والسَّبب هو جهلهم ما دار ويدور حولهم وظنُّهم أنَّهُم هم أوَّل من طرق هذا الموضوع أَو ذاك.

إنَّ ما يحدثُ غالباً هو أنَّ يكون لدى الباحث في كلِّ لحظةٍ أكثر من فكرة بحث أَو أكثر من موضوع يمكن يتناوله في بحث، ويمكن في أيِّ لحظة أن ينفتح ذهنه على فكرة جديدةٍ. ولكن ما يحدث واقعيًّا أنَّ الباحث يكون بحاجة إلى اختيار فكرة بعينها في ظرف بعينه ولسبب أَو أسباب محددة في إطار هذا الظرف والحاجة، وهذا ما يحدث غالباً للباحثين الملتزمين بواجبات معينة قد تكون مهنيَّة أَو ظرفيَّة أَو غير ذلك مثل الطلاب الذين هم على أبواب اختيار أبحاثهم الجامعيَّة في المراحل العليا خاصَّةً.

أيًّا كان الأمر فإنَّ الباحث بعد اختيار الفكرة أَو الموضوع لا بُدَّ أن يمر هذا الاختيار بمرحلة أساسيَّة تسمى الاختمار؛ اختمار الفكرة في الذهن، مثل أيِّ عملٍ إبداعيٍّ، إذ تدور هذه الفكرة في الذهن وكأنها تهيئ الملكات والقدرات

والمخزون المعرفي والثقافي للتفرغ لها ورفدها بكلِّ ما تحتاجه ويساعد في ظهورها بأفضل صورة ممكنة ضمن إمكانات الباحث أَو المبدع.

هٰذا الاختمار قد لا يستغرق أكثر من بضع ثوانٍ مثلما يحدث في الشعر خاصَّة ورُبَّما نجده مثله في بعض الفنون. وقد يستغرق الاختمار ساعات أَو أيَّاماً ورُبَّما يستغرق عشرات السِّنين. ولا يوجد أيُّ مشكلة في طول فترة الاختمار أَو قصرها فالفكرة لا يمكن أن تجد طريقها إلى الظهور ما تأخذ حقَّها من فترة الاختمار وتجد الظرف المناسب أَو الثوب المناسب لها في ذهن الباحث أَو المبدع. ورُبَّما لا يكون للمقدرة الإبداعيَّة الدور الكبير في طول فترة الاختمار أَو قصرها لأنَّ الذي يحدد هذه الفترة هو اكتمال الاختمار الذي هو بمعنى من المعاني اتضاح الفكرة كاملة في الذهن وامتلاك الأدوات والوسائل الكافية لخروجها على النَّحو الذي التمع في ذهن الباحث أَو المبدع.

شروط اختيار البحث

الآليَّة السَّابقة هٰذه كلها آليَّة إبداعيَّة غير قابلة للتعليم أَو النقل إلى المتعلِّم لأنَّها تجربة ذوقيَّة ذهنيَّة غير قابلة للنقل ما لم يكن المتعلِّم أصلاً مهيَّأً وموهوباً، وإذا كان المتعلِّم كذلك كان بإمكانه لوحده إدراك هذه الآليَّة من دون كثير تعبٍ أَو تعلُّمٍ. ولكن ذلك لا يمنع من الحديث في بعض الشروط التي يجب مراعاتها في عمليَّة اختيار البحث أَو فكرة البحث. هذه الشروط التي تتحقَّق غالباً على نحوٍ تلقائيٍّ أَو آليٍّ عند الباحث رُبَّما من دون أن ينتبه إليها أَو يدرك أنَّهُ يراعيها، ورُبَّما كذلك لا ينتبه بعضهم إلى ضرورة أخذ هٰذه الشُّروط بعين النَّظر والحسبان

وخاصَّة من هؤلاء الباحث المبتدئ أَو المتدرب الذي يحتاج إلى إدراك هذه الشُّروط كي يصبح الأمر أكثر يُسراً عليه. وهذه الشُّروط هي:

أولاً: الهدوء

أكثر ما ينبغي على الباحث عامَّة والمبتدئ والمتدرِّب خاصَّة أن يتحاشاه هو التسرع في اختيار البحث من دون مراعاة الشروط الأخرى التالية، لأنَّ التسرع قد يورِّط الباحث باختيار غير موفِّقٍ يفرض عليه معاناة كبيرة ونتائج غير متوقَّعة قد توصله إلى طرق مسدودة تحول دون متابعته البحث، وقد وكثير منَّا صادف نماذج من أمثال هؤلاء الذين يسابقون الوقت من غير وعيٍ فوقعوا على خيارات دمَّرت مستقبلهم أَو على الأقل أدخلتهم في متيهات وصعوبات كانوا بغنى عنها لو أنَّهُم تروُّوا قليلاً.

الهدوء والتَّروِّي في اختيار البحث خطوة أساسيَّة لتوفيق الباحث في الاختيار وتقليل الجهود التي يمكن أن يبذلها، وإذا كان يظنُّ بعضٌ أنَّ الهدوء يعني البطء فهو مخطئٌ لأنَّ الهدوء لا يعني عدم السُّرعة وإنَّما يعني عدم التَّسرع، فمن الممكن أن يعمل المرء بسرعة من دون تسرع، فالسرعة مهارة من مهارات العمل ولكنَّ التسرع خطأ في أيِّ عمل.

ثانياً: الاهتمام

ومن أكثر ما ينبغي على الباحث عامَّة والمبتدئ والمتدرِّب خاصَّة أن يراعيه في اختيار البحث هو أن يكون اختياره مرتبطاً باهتماماته وميوله لا بمحض الرَّغبة فقط أَو التَّحدِّي.

نحن لا ننكر ما للرغبة والتَّحدِّي أَو رُبَّما المغريات من دوافع وحوافز في عمليَّة البحث ولكن مهما كانت هذه المغريات فإنَّها لن تكون قادرة على خلق

الانسجام بَيْنَ الباحث والبحث الذي اختاره إذا لم يكن منسجماً مع اهتماماته وميوله، قد يكتب البحث وقد ينتهي منه بسرعة قياسيَّة، وقد يكون جيِّداً بالمقارنة مع أبحاث غيره، ولكنَّهُ بكلِّ تأكيد سيظلُّ مفتقراً إلى النَّفحة التي تكسبه الرَّونق والحيويَّة والنجاح. ولا شكَّ أيضاً فإنَّ العمل في بحثٍ متناقض مع الاهتمام والميل أَو غير منسجمٍ معه سيأخذ وقتاً أطول ويتطلب جهوداً أكثر، وينطوي على متاعب لم تكن بالحسبان أبرزها كثرة الملل والسأم والشعور بالنفور وعدم القدرة على العمل. خلاف الحال التي يكون عليها الباحث إذا كان يشتغل ببحث منسجمٍ مع ميوله واهتماماته فإنَّهُ يعمل باندفاعٍ وحماسٍ ومتعةٍ تختصر عليه المسافات والأوقات والجهود.

ثالثاً: الجدة

مما تجب مراعاته عند اختيار البحث هو أن يكون البحث جديداً في فكرته ومضمونه لأنَّهُ لا يجوز تكرار ما قيل سابقاً، ولا فائدة من تكراره، وإذا كان التكرار مفيداً فيمكن أن نعيد طباعة البحث القديم ذاته. أما عدم جواز التكرار فهو مسألة قانونيَّة وأخلاقيَّة في الوقت ذاته، فالتكرار يعني السرقة بمعنى من المعاني حَتَّى ولو بدَّل وغير في المعطيات. أما إذا لم يكن الباحث الجديد قد اطَّلع على البحث القديم وأعاده من جديد من دون أن يضيف شيئاً جديداً فإنَّهُ سيكون على الأقلِّ قد هدر وقته وجهده بلا فائدة ولا إنجاز. هنا تبرز أهميَّة الثقافة ودورها في اختيار البحث.

ولكن ما تجدر الإشارة إليه هنا أن الجدة لا تعني الجدة المطلقة بالضرورة فقد يكون ذلك صعباً، بل إننا نجد من ينكر إمكانيَّة الإتيان بالجديد فما من

فكرة إلا طرقت عشرات أَو مئات أَو آلاف المرَّات، وعدم معرفتنا بمدى ما عولجت هذه الفكرة أَو تلك لا يعني بالضرورة أنَّها ليست مطروقة ولا معالجة فما من أحدٍ يستطيع الزَّعم أنَّهُ يعلم كلَّ شيءٍ ويعلم كل ما كتب.

الجِدَّةُ التَّامَّةُ الخالصة مسألة شبه متعذَّرة ولكِنَّها ليست ممتنعة. والجِدَّة التامة الخالصة هي أكثر ما يرتجى من الباحث أَو المبدع بل أكثر ما يطمح إليه الباحث أَو المبدع لأنَّهُ رُبَّما يكون الكثيرون مستاؤون من التَّميُّز. ولذلك يجب أن تبقى هذه الجِدَّة مطمحاً لا يجوز التنازل عنه. ولكن لأنَّها مسألة شبه متعذرة التَّحقيق فإنَّها عزيزة على النَّيل وصعبة. ولذلك ليست هذه الجدة هي المطلوبة دائماً أو حرفيًّا، فللجِدَّة مستويات متعددة تتفق كلها في أنَّها تدخل البحث من أبواب جديدة غير مطروقة وتطرح أَو تناقش أَو تعالج الفكرة أَو الموضوع على نحو جديد يستحسن أن يكون أحسن من كلِّ ما سبقه.

أي لا بأس من إعادة بحث موضوعات تمَّ بحثها ولو أكثر من مرَّة ولكن يشترط أن يضيف البحث الجديد جديداً. نقول يشترط ولا نقول يفضَّل لأنَّ الاشتراط فيه شيء من الإلزام ولا ينطوي التفضيل على ذلك. وعلى الرَّغْمِ من ذلك ليس ثَمَّةَ ما يلزم إلزاماً قسريًّا بعدم طرق موضوع مطروق من إضافة جديد. فإذا كان الذي يعيد ذلك باحثاً جادًّا مسؤولاً فمن المفترض أن تكون له أسبابه، ولذلك يستحسن ألا نتسرع في الحكم.

رابعاً: الأهمية

إذا كان الاهتمام والجِدَّة شرطان أساسيَّان وضروريَّان من شروط اختبار الموضوع فإنَّهُما غير كافيين أبداً لأنَّهُما قد يؤدِّيان وحدهما إلى خيارات غير

موفَّقة أبداً على أقلِّ تقدير؛ فقد يكون الباحث أَو المتدرِّب مهتمًّا بأمرٍ فرديٍّ أَو شخصيٍّ أَو سطحيٍّ أَو تافهٍ أَو غير ذلك. والجديد قد يكون كذلك سخيفاً أَو تافهاً أَو سطحيًّا أَو استعراضيًّا أَو غير ذلك. ولذلك نحن بحاجة ماسَّةٍ إلى شرطٍ ثالثٍ ضابطٍ لاختيار البحث وهو الأهميَّة، فلا بُدَّ عند اختيار البحث من مراعاة أن يكون الموضوع ذا قيمةٍ وأهميَّةٍ. وأن يكون الموضوع ذا أهميَّة يعني أن يكون قضيَّةً أَو مشكلةً لها شأن في ميدان الفكر وتساهم في تقدُّم الفكر أَو في حلِّ إحدى مشكلاته أَو سيؤدِّي إلى فتوحٍ جديدة أَو إلى خلق إشكالاتٍ فكريَّةٍ جديدةٍ... أو غير ذلك مما يندرج في هذا الإطار.

خامساً: الفائدة

الفائدة مفهوم نسبيٌّ وجداليٌّ في كتابة البحث. فما المقصود بالفائدة؟ وبأيِّ معنى تكون الفائدة؟

كثيرون يشترطون أن يراعى في البحث المختار أن يقدِّم فائدة، واختلف المشترطون في مفهوم الفائدة!! بعضهم رأى ضرورة أن يكون البحث مفيداً للمجتمع، رُبَّما من باب ربط الجامعة بالمجتمع، وهنا لا ندري ما المقصود بفائدة المجتمع تحديداً. بل إنَّ النصوص الجامعيَّة المشجعة على البحث العلمي تشترط في الأبحاث المختارة أن تكون مفيدة بمعنى أن تقدِّم فائدة للمجتمع كتقديم مشاريع أَو اقتراحات أَو حل مشكلات اجتماعيَّة أو تساهم في تطور المجتمع أَو البنى الاقتصاديَّة أَو غير ذلك مما يندرج في هذا الإطار.

هذا المطلب قمينٌ بالتقدير والأخذ بعين النَّظر. ولكن يجب أن ننتبه إلى أنَّ فكرة الفائدة بالمعنى الحسيِّ المباشر غير واردة في البحث النظريِّ بل هي غير

واضحة. فما الفائدة التي يمكن أن ينطوي عليها بحث العليَّة عند **هيوم**؟ أَو الثورة الكوبرنيكية؟ أَو غير ذلك من أبحاث في ميدان الفلسفة أَو علم الاجتماع أَو السياسة أَو النَّقد...؟

هل الفائدة المعرفيَّة تندرج تحت هذا الإطار؟

نحن في حقيقة الأمر أما مشكلة إذا اشترطنا الفائدة بالمعنى الحسي المباشر. بل قد نكون أمام المشكلة ذاته إذا أصرينا على الفائدة بالمعنى العام في البحث المختار. ولذلك لا نرى أن تكون الفائدة شرطاً لازماً في اختيار البحث، ولكننا لا نستطيع أن نستبعدها بوصفها مطلباً مستحسناً في بعض الميادين، وضروريًّا في بعض الميادين.

سادساً: إمكانية التحقق

الشرط السَّادس هو إمكانيَّة التَّحقُّق أَو قابليَّة التَّطبيق، ولا يختلف حديثنا في هذا الشَّرط عن حديثنا في الشُّرط السَّابق الذي هو الفائدة، إذ يمكن إعادة الكلام ذاته هنا لكن بعد تبديل كلمة الفائدة بإمكانيَّة التَّحقُّق أَو قابليَّة التَّطبيق.

الحقيقة أنَّهُ لا يوجد أي مانع أَو حرج أَو رفض لأن يحمل البحث المختار إمكانيَّة التطبيق والتحقق، ولكنَّهُ اشتراط أرعن إذا أصرينا عليه لأن قابلية التطبيق أَو التحقق مسألة نسبيَّة إن صحَّت في ميدان لم تصح في آخر، وإن جاز اشتراطها في ميدان لم يجز ذلك أبداً في ميدانٍ آخر. بل رُبَّما في الميدان ذاته نقع في مثل هذه التناقضات، ولذلك لا يجوز النظر إلى هذا الشرط من زاوية ضيقة و رؤية محدودة.

من الضَّروري أن نقول أنَّهُ في الميادين التي تقبل هٰذا الشَّرط يجب أن تراعى إمكانيَّة التَّطبيق والتَّحقق، ولكن لا يجوز أن يكون هٰذا الاشتراط عائقاً أمام البحث لأنَّ البحث رؤى، والرؤى قد تسبق الواقع... وكثيراً ما تسبق الواقع.

إعداد البحث

بعد أن يقرَّ قرار الباحث على اختيار موضوع البحث، وتحديد فكرته الأساسيَّة التي يريد الباحث أن يبرزها تبنيًّا أو دفاعاً أو نقداً أو رفضاً أو توسيعاً... يمكنه أن ينتقل إلى الخطوة التالية، بل لا يبقى أمامه إلا الانتقال إلى الخطوة التالية التي هي الشُّروع في إعداد البحث.

إعداد البحث ليس خطوة واحدة، ولا قصيدة تنثال على لسان المبدع بمحض تكون فكرتها في ذهنه، وهٰذه هي نقطة انطلاق الفرق بَيْنَ العمل الإبداعي والعمل البحثي.

يكون المبدع جاهزاً لصوغ أثره الفني بمحض اختمار الفكرة في ذهنه، من دون حاجة إلى أيِّ تحضيراتٍ مشابهةٍ لتحضيرات البحث من مراجع وتخطيط وغير ذَلِكَ، بينما الباحث يحتاج بعد اختمار الفكر إلى وضع مخطط وتفصيل خطوات للبحث الذي قرَّ قراره عليه، ويحتاج إلى الرجوع إلى المراجع والمتابعة والمقارنة وفي أثناء ذَلِكَ يحتاج إلى جمع الشواهد والمقبوسات التي سيحتاجها أو يتوقع أن يحتاجها في بحثه. ثُمَّ بعد ذَلِكَ عليه أن يعيد النظر فيما سبق على ضوء قراءته وإعادة تخطيط العمل والخطوات... وأخيراً الشروع في الخطوة الأخيرة وهي كتابة البحث التي لن يتوقف الأمر عندها غالباً وإنَّما تحتاج إلى مراجعة وتنقيح ورُبَّما غير ذَلِكَ. أما الخطوات الأساسيَّة لإعداد البحث فهي التالية:

أولاً: النظر في المراجع

الخطوة الأولى من خطوات الإعداد هي النظر في المراجع. لهذه الخطوة في حقيقة الأمر سابقة ولاحقة على اختيار الموضوع، يجب أن يكون النَّظر في المراجع خطوة أو شرطاً من شروط اختيار البحث، ونعني بذلك أن يراعي الباحث في أثناء اختياره بحثه النظر في المراجع التي سيستفيد منها والتي يمكن أن يستفيد منها. حَتَّى لا يتورط في التكرار مثلاً أَو في انعدام المراجع ولهذه الشَّكوى كثيراً ما تصادفنا من طلابنا الذين يعانون من عدم وجود المراجع. وكذَلِكَ حَتَّى يعرف كيف يتحرك الباحث في إطار ما تمَّ بحثه.

وفي إطار النَّظر في المراجع، في أثناء اختيار البحث وفي أثناء البحث، تقع خطوة التَّقميش التي تعني أن يدوِّن الباحث كلَّ ما يحتاج إليه ويريد الاستشهاد به من المراجع التي يقرؤها. ومن الممكن أن يتمَّ ذَلِكَ مباشرةً. ولكن يجب التَّمييز جيِّداً بَيْنَ مرحلتي الرجوع إلى المراجع والمصادر من أجل مراجعة اختيار الباحث للبحث، وبَيْنَ الرجوع إلى المراجع والمصادر من أجل الشروع في البحث.

الرُّجوع إلى المراجع في هذه المرحلة، أي السابقة لوضع المخطط تكون من أجل وضع المخطط من جهة، ومن أجل التوثق من صحة اختيار الموضوع لعدم الوقوع في خطأ اختيار بحثٍ تمَّ اختياره من سابقين، وكذلك من أجل الوقوف على ما أنجزه السابقون في إطار موضوع البحث ووضع المخطط والمشروع على أساس ما تمَّ إنجازه.

أما الرجوع إلى المراجع في الخطوة التالية لوضع المخطط فهي بقصد آخر. لقد تمَّ اختيار الموضوع، وتم الاستقرار عليه، وتم وضع المخطط، وصار الرُّجوع

إلى المراجع بقصد آخر هو التنقيب عن الشواهد والمقبوسات التي سيتعامل معها الباحث، ولهٰذا ما سنقف عنده في التقميش بعد قليل.

ثانياً: بَيْنَ المراجع والمصادر

هنا تجدر الإشارة إلى الفرق بَيْنَ المرجع والمصدر المسألة التي يجعل منها بعضهم مشكلة تفوق خطورة مشكلة خرق طبقة الأوزون. لا شكَّ في أنَّ للتَّمييز بَيْنَ المصدر والمرجع ضرورة وأهميَّة. فالمرجع شيء والمصدر شيء آخر، والخلط بينهما من قبل مختصٍّ أمرٌ غير مستحسنٍ بل معيبٌ. نحن لا نعترض على ذٰلِكَ، وإنَّما نزكيه. ولكن لا يجوز أن نحمِّل من يخلط بَيْنهُما وزر **برمثيوس** ونعلِّق الصَّخرة في رقبته. ذٰلِكَ أنَّ هناك علاقة تضمن وشمول بَيْنَ المرجع والمصدر من جهةٍ، وهناك بعض حالات التَّداخل أو اللبس في مفهوم المصدر من جهةٍ ثانيةٍ.

المرجع هو الحالة الأعم والأشمل، والمصدر حالةٌ خاصَّةٌ من المرجع. كلُّ مصدرٍ مرجعٌ بالضَّرورة ولكن ليس كلُّ مرجعٍ مصدراً أبداً. من هٰذا الباب، مبدئيًّا، وقبل أن نبين معنى كليهما، لا بأس، ولا يوجد ما يمنع من تسمية المصدر بالمرجع، ولا مشكلة في ذٰلِكَ. بل لا بأس من عدم الفصل بَيْنَ المصادر والمراجع في الثبت، لأنَّ ذٰلِكَ لن يقدِّم أو يؤخِّر كثيراً اللهم إلا في بعض الاستثناءات التي رُبَّما تكون ضروريَّةً، وخاصَّة في أبحاث التحقيق وما دار في فلكها.

على أيِّ حالٍ، المرجع اصطلاحاً هو كلُّ ما يرجع إليه الباحث أو الكاتب من أجل بحثه سواءً أكان كتاباً أو أطروحةً أو مجلةً أو جريدةً أو حواراً أو لقاءً شخصيًّا أو إعلاميًّا أو رُبَّما غير ذٰلِكَ.

أمَّا المصدر فهو كلُّ ما نرجع إليه من آثار العَلَمِ موضوع البحث. أو الآثار التي كتبت في المرحلة التَّاريخيَّة التي هي موضوع بحثنا. ويمكن القول أيضاً:

المصدر هو أيضاً كلُّ الآثار التي كتبت في المرحلة التَّاريخية التي عاشَ فيها العَلَمُ الذي هو موضوع بحثنا، ولكن على أن يكون هٰذا العَلَم في مرحلةٍ تاريخيَّةٍ منصرمةٍ قبل المرحلة التي نعيش فيها، والمرحلة التي نعيش فيها هي عصرٌ وليس جيلاً.

خمس نقاط هنا تستحق الوقوف عندها فيما يتعلَّق بالمصدر على نحو خاصٍّ، وهي:

النقطة الأولى: قلنا إنَّ المصدر هو كلُّ ما يرجع إليه... هٰذا يعني أنَّ المصدر ليس فقط الكتب التي وضعها العَلَم الذي نتناوله في بحثنا، وإنَّما كل آثاره التي تتعلق بالبحث ونرجع إليها في البحث من لقاءات أو حوارات شخصية أو كتب أو مخطوطات أو غير ذَلِكَ كثير.

النقطة الثانية: المصدر ليس مصدراً دائماً. فقد لا يكون المرجع الذي نعده مصدراً في هٰذا البحث مصدراً في بحثٍ آخر. مثلاً عندما أتناول فكر **عادل العوا** فإنَّ آثار **عادل العوا** ستكون مصادر وكل ما خلاها مراجع. ولكن آثار **عادل العوا** التي أستخدمها في بحث آخر عن القيمة مثلا أو الوجدان أو غير ذلك... لن تكون مصادر وإنَّما مراجع. وكذلك أمر آثار **ابن سينا** التي ستكون مصادر إذا تناولته أو تناولت عصره، ولكنَّهَا ستكون مراجع إذا استخدمتها في بحث عن **أرسطو**... وهلمَّ جرًّا.

النقطة الثالثة: هناك من يرى أنَّ كلَّ الكتب القديمة مصادر. ثَمَّةَ خلاف واختلاف هنا. لا مشكلة في ذَلِكَ، ولكن إذا كنا لا نختلف في متى يبدأ القديم فإنَّنا سنختلف في متى ينتهي القديم. هٰذا من جهة، ومن جهةٍ ثانيةٍ لماذا يجب

أن نسمي كلَّ قديمٍ مصدراً؟ وهل سيغنيها ذَلِكَ أم يعززها أم سيعلي من قيمتها وشأنها؟ وإذا لم نسمِّها مصادر وسمَّيناها هل سيقلِّل ذَلِكَ من شأنها وقيمتها؟ ثُمَّ بعد ذَلِكَ: إذا كان موضوع بحثنا عَلَمٌ قديم مثل **الفارابي** فإنَّ آثاره ستكون مصادر، فل سيكون ما كتب عنه بعد، من القديم، مصادر أم مراجع؟

النقطة الرابعة: هناك من يرى أنَّ أمهَّات الكتب تسمَّى مصادر مهما كان وضعها وتاريخها من موضوع البحث. ومع ذَلِكَ نحن هنا أمام مشكلة ضمِّ الكتاب إلى الأمَّهات أو حرمانه هٰذه النِّعمة. هناك بعضٌ غير قليلٍ لا خلاف عليه مثل كتب الفهارس والتَّراجم والمعاجم وأشباهها. ولكن هناك كثيرٌ منها موضع خلاف.

النقطة الخامسة: خير مخرجٍ من هٰذه المشكلات هو اعتماد المرجع/ المراجع تسمية عامَّةً تشمل النَّوعين. مع ضرورة التَّمييز بَيْنَ المصدر والمرجع عندما يحتاج الأمر إلى التَّمييز.

ثالثاً: وضع المخطط

لا توجد وصفةٌ سحريَّةٌ لوضع المخطَّط. ليس وضع المخطط سهلاً، ولكنَّهُ ليس صعباً. وإذا كان قيل: «إذا عُرِفَ السَّبب بَطُلَ العَجَب» فإننا نقول: إذا فهم الباحث ماذا اختار وكان من معرفته ما يكفي من الموضوع، أو اطلع على ما يكفي في إطار الموضوع، لم يجد صعوبةً في وضع المخطط. أمَّا إذا افتقر إلى ذَلِكَ أو بعضه فإنَّهُ لن يفلح في وضع مخططٍ مناسب، ولن تكفي حنكته لنجاته من مآزق المخطط

الـذي يضـعه، لأَنَّـهُ رُبَّمـا يـزل قلمـه فيمـا يورطـه فيمـا لا يسـتطيع الخـروج منـه، وإن استطاع الخروج فلن يخرج بسهولة.

إذن المشكلة محلولةٌ. يحتاج الباحث حَتَّى يضع مخطط بحثه أن يحقق شروط اختيار البحث التي سلف الحديث فيها من جهة، وأن يكون على فهم وإحاطة بموضوع البحث.

ينبني البحث، أيُّ بحثٍ، على فكرةٍ أساسيَّةٍ، أو رُبَّما أكثر من فكرةٍ. تنقسم هٰذه الفكر الأساسيَّة إلى مكونات هي مجموعة من الأفكار الجزئيَّة. وكلُّ فكرةٍ جزيَّة تنقسم كذَلِكَ إلى عددٍ من الأفكار البسيطة. ورُبَّما تنقسم كل واحدةٍ من هٰذه الأفكار إلى أفكار أبسط منها. وكل فكرة يعبر عنها، أو تشرح، أو تناقش بنصٍّ ينقسم بدوره إلى عدة فقرات.

إذن حَتَّى نضع مخطط البحث علينا أن نحدِّد الأفكار الرَّئيسة التي تتضمنها الفكرة الكلية أو الأساسيَّة. وبعد هٰذا التحديد توزع الأفكار الجزئيَّة على فصول. يمكن أن تكون كلُّ فكرةٍ فصلاً، ويمكن أن يتضمن الفصل أكثر من فكرة جزئيَّة. الأمر عائد إلى تقدير الباحث وَفْقَ غاياته وأدواته المنهجيَّة، ورُبَّما وفق المساحة التي ستحتاجها هٰذه الفكرة أو تلك من المساحة الكليَّة للبحث من جهةٍ أولى، وبالمقارنة بَيْنَ الفصول من جهةٍ ثانيةٍ.

يجب أن نراعي دائماً ما يمكن تسميته ببداهات العمل البحث، وهو أنَّ أيَّ نصٍّ يتألَّف بالضَّرورة من مقدِّمةٍ وعرضٍ وخاتمةٍ[٢٩]. هٰذا للنصِّ كلاًّ، ولكن كلَّ فصل تنطبق عليه هٰذه القاعدة، وبالمثل كلُّ ضمن الفصل. ليس من

(٢٩) . انظر خاتمة الفصل السابق للوقوف على مفهومي المقدمة والخاتمة.

الضروري أن نسمي المقدِّمة والخاتمة بالاسم، لأنَّ التقديم هو التمهيد المناسب للدخول في الفقرة أو الفصل أو البحث كلاً. وكذلك شأن الخاتمة التي يجب أن يردك القارئ من خلالها أن الفقرة انتهت، وأنَّ الفصل قد انتهى... أن الرسالة قد وصلت. لهذا للقارئ العادي، أما غير العادي فيحتاج إلى نصٍّ غير عادي.

هنا تجدر الإشارة إلى مسألة على غاية من الأهميَّة وهي أنَّ الفكرة الأساسيَّة للبحث وإن كانت واحدة فإنَّ كل باحث يفهمها على ضوء بنيته المعرفيَّة والأيديولوجيَّة والنَّفسيَّة والأخلاقيَّة، ولذَلِكَ من المؤكَّد أَنَّهُ لو اختار باحثان موضوعاً واحداً، فلن تكون فكرتيهما واحدةً، وإن كانت الفكرة واحدةً فلن تكون الأفكار الجزئيَّة هي ذاتها على الإطلاق. رُبَّما يكون هناك بعض التَّشابه ولكن لن يكون هناك تماثل. وكلَّما ابتعدنا عن الفكرة الأساسيَّة نزولاً إلى الأفكار الأصغر تباعدت التَّصورات والأفكار أكثر. ومن ثَمَّ لن يكون هناك تماثل بَيْنَ بحثي باحثين تناولاً الموضوع ذاته مهما بلغ التشابه بينهما من حدٍّ، لأَنَّهُ حَتَّى ولو افترضنا أبعد احتمالاتً التشابه فإِنَّهُ سيكون من المتعذر أن تكون لغتا الباحثين واحدة، وكذلك الأسلوب، وكذلك المراجع المعتمدة.

رابعاً: التقميش

بعد وضع مخطط البحث يبقى على الباحث الشروع في قراءة المصادر والمراجع ليس للحصول على الشَّواهد والمقبوسات كما يعتقد الكثيرون، وإنَّما من أجل معرفة ماذا فعل الآخرون في موضوع البحث، وأين وصلوا، وما الذي عليه أن يفعله، وأن يتابعه، وأن يستكمله، وأن يناقشه، وأن يصوبه...

من أجل تحقيق هٰذه الأهداف سيكون الباحث مضطراً للاستشهاد بما فعله الآخرون، واقتباس أقوالهم وأحكامهم، ثُمَّ قبولها أو رفضها أو مناقشتها أو التعزيز بها، أو كل ذَلِكَ معاً في آن معاً، أي في البحث كلِّه، وكل مقبوسٍ على حدةٍ.

نقل الشَّواهد والمقبوسات من النُّصوص إلى مكان آخر لتيسير استخدامها هو ما يسمَّى التَّقميش. هٰذا المكان الآخر ليس محدوداً ولا مشروطاً، قد يكون دفتراً خاصًّا أو عامًّا، قد يكون أوراق خاصَّة، قد يكون بطاقاتٍ كرتونيَّةً أو ورقيَّةً، ملوَّنةً أو بلونٍ واحدٍ، وقد يكون اليوم، مع رواج استخدام الحاسوب، ملفًّا على الحاسوب؛ خاصًّا أو عامًّا... وقد يكون، في أسوأ الاحتمالات، الطَّريقة البدائيَّة ذاتها التي أشرنا إليها قبل قليل وهي التَّسطير أو وضع إشاراتٍ خاصَّةً على صفحات النَّصِّ الأصلي ذاته.

خامساً: كتابة البحث

نحن هنا أمام الخطوة الخيرة؛ الخطوة الأخيرة. بعد الفراغ من التَّقميش لا شيء يفعله الباحث سوى المباشرة في كتابة البحث.

ليست هناك أيُّ ضرورةٍ منطقيَّةٍ أو منهجيَّةٍ أو نفسيَّةٍ أو أخلاقيَّةٍ أو غير ذَلِكَ لشروع الباحث بالكتابة فور انتهائه من التَّقميش. الأمر منوط بالحالة النفسيَّة والاستعداد النفسي لمباشرة الكتابة. قد يستطيع الباحث ذَلِكَ على الفور، وقد يحتاج إلى وقت استجمام نفسيٍّ للخروج من حالة التوتر والتعب الذي استغرقه في عمليَّة القراءة والتَّقميش. وفوق ذَلِكَ ليست هناك فترة زمنيَّة محدَّدة يمكن الحديث عليها. في عمليَّة الكتابة تبدأ الممارسة الإبداعيَّة بمعنى من المعاني. والممارسة الإبداعيَّة غير ممكنةٍ تحت أيِّ ظرفٍ من الظُّروف، بقدر ما هي

ممكنة تحت أيِّ ظرفٍ من الظرُّوف. كلُّ المبدعين يعرفون هٰذه الحقيقة. يعرفون أنهم قادرون على ممارسة الإبداع تحت أيِّ ظرفٍ من الظُّروف، ولكن إذا كانت نفوسهم مقبلة على الإبداع. أمَّا إذا كانت النَّفسُ غير مقبلةٍ، أو غير راغبةٍ فإنَّهم لن يكونوا قادرين على الإبداع مهما كانت الظُّروف التي تحيط بهم مناسبة للإبداع ومساعدةً له.

رُبَّما يكون من المستحسن للباحث أن يلتقط أنفاسه فترةً قصيرةً يستجمع فيها أفكاره ومخططاته، ويعيد بناء تصوُّراته على ضوء قراءاته واقتباساته، ثُمَّ يتحين فرصة الاندفاع والحماسة للمتابعة أو لمباشرة الكتابة، بعد أن يكون قد رتب بطاقات البحث التَّرتيب اللازم والمناسب.

هٰذا استحسان وليس قاعدة ولا وجوباً، فإذا وجد الباحث نفسه مقبلة على الكتابة فوراً فهٰذا أحسن، إذ لا وقت محدد للكتابة. خير وقت هو ما يستحسنه الباحث، هو الوقت الذي يجد فيه نفسه مقبلة على الكتابة.

هنا لا بدَّ من القول إنَّ كتابة البحث ليست مشروطة ولا مقرونة بانتهاء الباحث من التَّقميش، هٰذا التخمين غير صحيحٍ أبداً، فمن الممكن للباحث أن يباشر الكتابة منذ اللحظات الأولى لإقرار قراره على اختيار البحث. ومن الممكن أن يكتب كلَّ فصلٍ على حدةٍ. بل من الممكن أن لا يتقيد أبداً بترتيب الفصول في الكتابة؛ فقد يكتب الفصل الأول بعد الثالث، أو الرابع قبل الثاني وهلم جرًّا. هٰذا الحكم عامٌّ، رُبَّما يستحسن الترتيب في كتابة الفصول، ولكن هٰذا ليس شرطاً ولا ضرورة. ومن جهةٍ ثانيةٍ تكرر بأن هٰذا الحكم عامٌّ، ولكن لا شكَّ في أنَّ هناك بعض الاستثناءات في بعض البحوث وخاصَّةً الميدانية منها.

في البحث الميدانية في بعض العلوم الاجتماعيَّة لا بدَّ من التَّرتيب لقيام التَّالي على السَّابق، ويصحُّ هٰذا الحكم على أيِّ بحثٍ يقوم فيه التَّالي على السَّابق. كلُّ الأبحاث من هٰذا النَّوع لا بد من الترتيب فيها.

بعد ترتيب البطاقات تبعاً للفصول، والفقرات ضمن الفصول على ضوء ملاحظات استخدام المقبوسات، ومعها ضمناً الأفكار والمناقشات الخاصَّة بالباحث التي وضعها على بطاقات ضمن شروط ترويس وتذييل البطاقات التي سلف الحديث فيها، يكون الباحث جاهزاً، بل تكون كل الخطوات اللازمة قد اكتملت، ويكون باستطاعة الباحث أن يشرع في الكتابة.

الشُّروع في الكتابة بعد أن تكون البطاقات مرتبة ترتيباً مناسباً وصحيحاً سيكون أمراً سهلاً للغاية، لأَنَّ ما سيقوم به الباحث هو سبك الشواهد والمقبوسات بلغته ومناقشته وأسلوبه، وعرض موقفه ورأيه من خلال هٰذه البطاقات وبها. ولكن ثَمَّةَ مسائل ثلاث هنا تجدر الإشارة إليهما:

المسألة الأولى: كثيراً ما نجد أناساً يدعون أنَّهُم يقدمون ابحاثاً من خلال سلسلة طويلة من الشواهد والمقبوسات المتصل ببعضها بعضاً بأحرف الجر أو العطف أو الاستئناف أو الرفض أو ما شابهها، ورُبَّما يكون ثَمَّةَ ظهور خجول أو خافت لمن قص هٰذه الشواهد والمقبوسات ولصقها ببعضها بعضاً. البحث ليس قصاً ولصقاً.

المسألة الثانية: في المسألة الأولى تحدثنا عن أمينٍ في القص واللصق، أي بمعنى آخر في النقل والتوثيق. ولكن ثَمَّةَ أناساً يقصون ويلصقون من هنا وهناك، يوثقون أشياءً وأشياء لا يوثقونها، ظانين صعوبة اكتشاف ما يقومون به لوهم

يصطنعونه ويؤمنون به. هٰذه تسمى سرقة وقد تحدثنا فيها في غير هٰذا المكان. قد لا تكتشف السرقة سريعاً، ولكنَّهَا لا يمكن إلا أن تكتشف.

المسألة الرابعة: سيلاحظ الباحث أنَّ هناك بطاقات كتبها لا لزوم لها. فماذا يفعل بها؟

لا بُدَّ أَنَّهُ سيشعر بالاستياء وغالباً ما سيعيد النظر المرة بعد المرَّة ليجد لها مكاناً لها بَيْنَ طيات البحث. ورُبَّما يعيد النَّظر غير مرَّةٍ.

لماذا كل هٰذا العنت؟ لماذا لا يمزقها أو يتلفها؟ لماذا لا يتجاهلها ويتخلص منها؟

من الطَّبيعي جدًّا أن يتوقَّع الباحث أن يحتاج بعض الشَّواهد أو المقبوسات فيقوم بتقميشها، ثُمَّ يجد أنَّهَا لا مكان لها في البحث لسببٍ أو لآخر. وهٰذا ليس نقصاً ولا عيباً ولا سوء تقديرٍ يدعو الباحث إلى إجبار البحث على امتصاص هٰذه الشَّواهد والقبوسات واستيعابها حَتَّى لا يظهر أمام نفسه سيء التَّقدير... لنقل: إذا عزَّ عليها إتلافها فليحتفظ بها في مكانٍ أنيقٍ ولكن لا يقحمنَّها في البحث إقحاماً إذا البحث لم يستوعبها.

خاتمة

لا نريد أن نختم خاتمة منهجيَّة أو أكاديمية كما تسمَّى. نريد أن نختم خاتمةً نراها مناسبةً لموضوع هٰذا الفصل. أي على طريقتنا التَّقليديَّة لا وفق القواعد المنهجيَّة أو الأكاديميَّة.

كتابة البحث ليست معضلةً، ولا هي معادلة كيميائيَّة معقدة، ولا هي عملية ضرب من السحر الذي يمارسه المبدعون ولا الحواة... ولكنَّهَا في الوقت ذاته ليست ممارسة سهلة على الإطلاق. وكذَلِكَ الأمر لا يمكن القول إنَّهَا ممارسة تتم بجملة من التدريبات مثل أيَّ حرفة من الحرف.

لا بُدَّ من وجود نَفَسٍ إبداعيٍّ في كتابة البحث وإلا فإن البحث سيكون قوالب جامدةً مملَّةً للقارئ. غالباً ما يعرف الموهوب نفسه، يعرف أَنَّهُ موهوب، ولكن ثَمَّةَ كثير لا يدرك ماذا يمتلك، ولا ينتبه إلى أَنَّهُ قادر على الإبداع، إِنَّهُ يحتاج إلى هزَّةٍ من داخله أو من الخارج حَتَّى يستطيع أن يكتشف ذاته. وإنَّ اللبيب من الإشارة يفهم.

الفصل الخامس

الاقتباس والتقميش

عناصر الفصل

- مقدمـــــــــــــــــــــــــــة -
- الاقتبـــــــــــاس وأنواعـــــــــــه -
- مفهـــــــــــوم التَّقمـــــــــــيش -
- بطاقـــــــــــات البحـــــــــــث -
- أنـــــــــــواع البطاقـــــــــــات -
- أهميـــــــــــة البطاقـــــــــــات -
- العمـــــــــــل بالبطاقـــــــــــات -
- تبويـــــــب البطاقـــــات وترتيبهـــــا -
- خاتمـــــــــــــــــــــــــــة -

* * *

العلـــم صـــيد والكتابـــة وثاقـــه،
فوثِّـــق صـــيودك وأحســـن وثاقهـــا.

مثل عربي

مقدمة

التَّقميش مرحلة وعملية في الوقت ذاته. إنها من أكثر مراحل البحث أهميَّة على الإطلاق، كون إجادة العمل فيها، والبراعة في التنظيم تخدم الباحث خدمات جليلة فسرعة الإنجاز ودقَّته.

نحن هنا في حقيقة الأمر أمام أكثر مراحل كتابة البحث أهميَّة وضرورة ورُبَّما دقَّة، وهي المرحلة التي تسمَّى مرحلة التَّقميش.

تختلف كتابة البحث عن كتابة المقال وما هو بحكم المقال من النُّصوص الإبداعية المشابهة،

الاقتباس وأنواعه

رُبَّمـــا مـــن الخطـــأ القـــول بـــأنَّ هنـــاك أنـــواع للاقتبـــاس فالاقتبـــاس واحـــدٌ مـــن جهـــة المبـــدأ. وهـــو أخـــذ نـــصٍّ يطـــول أو يقصـــر مـــن مرجـــع وضـــعه شـــخص آخـــر غـــير الباحـــث الـــذي يكتـــب البحـــث أو الـــنص وتضـــمينه في الـــنص الـــذي يكتبـــه قبـــولاً أو رفضـــاً أو نقـــداً أو تأييـــداً أو تأكيـــداً ليغـــدو جـــزءاً مـــن الـــنص الجديـــد بطريقـــة أو بـــأخرى وفـــق ما سبق من أسباب التَّضمين.

لهذا يعني أنَّنا يمكن أن نأخذ كلاماً من نصٍّ كتبه غيرنا ونضيفه إلى نصِّنا الذي نكتبه مهما كان النَّص المأخوذ أو الذي نكتبه.

قلَّما يبتعد المعنى الاصطلاحي لأيِّ مفردة عن الإطار الدَّلالي لها في اللغة، والمقبوس لا يندُّ عن هذه القاعدة، فالْمَقْبُوْسُ مِنَ القَبَسِ، والقَبَسُ النَّارُ والشُّعلةُ من النَّار. واقتباس النَّار الأخذ منها، ثُمَّ استعير القَبَسُ للعلم أيضاً، فقيل: قَبَسْتُكَ ناراً وعِلماً، وقيل: أَقْبَسْتُهُ عِلماً وَقَبَسْتُهُ ناراً أو خيراً[٣٠]... والقَبَسُ بمعنى المقبوس، ولكنَّ العرب لم تستخدم المقبوس قديماً، فجمعوه على أَقْبَاسٍ، ولم يجيزوا غير هٰذا الجمع. وهٰذا الجمع جائزٌ على قَبَسَ وعلى مَقْبُوسٍ على حدٍّ سواء. ولكنَّنا نؤثر الاقتصار بالأَقْبَاسِ على قَبَسَ الَّتي لغير النَّصِّ، ونَجمع الْمقبوسَ على مقبوسات تخصيصاً وتمييزاً. والمقبوس بالاصطلاح، ههنا، هو الفكرة أو القول أو الكلام الذي نأخذه من الآخرين فندرجه في سياق كلامنا، إمَّا توضيحاً أو تأكيداً أو رفضاً... أو غير ذلك. ولأنَّ هٰذا المقبوس ملك غيرنا فإنَّ من حقِّ مالكه أن ينسب إليه، ومن واجبنا أن لا ندَّعيه لنا، أو لا نشير إليه فيبدو وكأنَّه لنا.

والحقَّ أنَّ الاقتباس عن الآخرين ليس ضرباً واحداً، ولا أسلوباً واحداً، ومن الجائز، بضرب من القسمة، القول: إنَّ الاقتباس على نوعين؛ نقل حرفيٌّ، ونقل بتصرف.

كلُّ **نقل حرفيٍّ** عن المراجع الأُخْرى أيًّا كان نوعها[٣١] يجب أن يحصر بَيْنَ قوسين صغيرين، القوس الأول التالي المحصور بَيْنَ هلالين: («) يكون لبداية المقبوس، والقوس الثَّاني التَّالي المحصور بَيْنَ هلالين: (») يكون لنهاية المقبوس،

---

[٣٠]. ابن منظور: **لسان العرب**. ج١١. مادة قبس.

[٣١]. يمكن أن يكون المرجع كتاباً أو مجلة أو جريدة أو نصاً صوتياً من لقاء أو برنامج تلفزيوني أو غير ذلك.

وبعد هٰذا القوس الثَّاني مباشرة يوضع رقم الإحالة أو المقبوس لتبيان مصدره. ورُبَّما يكون القوسان على شكل نصفي دائرة بالحجم ذاته.

ثَمَّةَ من يقول بعدم جواز تجاوز المقبوس أو الشَّاهدِ الخمسةَ أسطر، ويتابع أصحاب وجهة النَّظر هٰذه بضرورة تجزئة الشَّاهد الطَّويل ومناقشة كلٍّ بضعة أسطر على حدةٍ، على افتراض أنَّ كلَّ بضعة أسطر ستتضمن فكرة تعالج بالمناقشة.

ليس ثَمَّةَ مشكلة في هٰذا الرَّأي سوى أَنَّهُ لا يستند إِلَى أيِّ أساسٍ منهجيٍّ أو علميٍّ. إنَّهُ يقوم على اعتقادٍ خاطئٍ يخلط بَيْنَ البحث أو الدِّراسة من جهة وتحليل النَّص من جهةٍ ثانيةٍ. فتحليل النَّصِّ يقتضي تجزئته إِلَى أفكار صغيرة تُنَاقَشُ الواحدة تلو الأُخْرى، أما الدِّراسة أو البحث فقد لا يحتاج إلا إلى شاهد واحدٍ من النصِّ، ولذلك قَدْ يطول هٰذا الشَّاهد أو يَقْصُرُ تَبعاً للحاجة منه ومدى طول الفكرة أو قصرها. وعلى أيِّ حال لا توجد أيُّ مشكلة في طول الشَّاهد أو قِصَرِهِ، ولا يوجد ما يمنع أن يكون يطول الشَّاهد أو المقبوس. على أنَّ ما ينبغي أن تجدر الإشارة إليه هنا هو أنَّ جواز وجود المقبوس الطَّويل ليس إلا من قبيل الاستثناء والحالات الخاصَّة الَّتي يصعب تجاوزها أو الاستغناء عنها. أمَّا كثرة الشَّواهد الطَّويلة فهي أمرٌ غيرُ جائزٍ، أو غير مستحسنٍ على الأقلِّ، لأنَّ ذلك سَيُحِيْلُ العمل إِلَى جمع نصوص إِلَى بعضها بضعاً ويفقده الكثير من مقوِّمات البحث وخصائصه.

النُّقطة الأخيرة الَّتي تستحق التَّنويه بها هنا طريقة إيراد المقبوس أو الشَّاهد، فثمَّةَ من يرى ضرورة أن يكتب الشَّاهد الذي يبلغ السَّطرين

فـأكثر في فقـرة مستقلة، وبخـط أصـغر مـن خـطِّ الـنص الكامـل مـع إزاحـة زائـدة مـن أسـطر الشَّـاهد مـن الطَّـرفين، أو مـن الطَّـرف الأيمـن علـى الأقـل. ولهـذا الـرَّأي الـذي هـو في الأصـل تقليـد مـأخوذٌ عـن النُّصـوص الغربيَّـة رأي مقبـول ولا بـأس مـن اتباعـه، ولا يوجـد منهجيًّـا مـا يعيـب عـدم اتِّباعـه. ولكـن ينبغـي أنْ لا نخلـق مشـكلة مـن الخيـار بينهمـا فكلاهمـا صـوابٌ وصحيحٌ.

أمَّـا **المقبـوس غيـر الحرفـي**، أي المنقـول بـالمعنى، فهـو الاستشـهاد بفكـرةٍ أو بضـع أفكـارٍ معـاً مـأخوذةٍ عـن كتـابٍ أو بحـثٍ آخـر، ولكِنَّهـا ليسـت منقولـةً حرفيًّـا، والسَّـبب في ذلـك أنَّ هٰـذه الفكـرة أو الأفكـار قَـدْ تكـون موجـودة في صـفحاتٍ كثـيرةٍ أو أكثـر مـن فصـل، ورُبَّمـا تكـون اختصـاراً لفصـلٍ كامـل، وإذ ذاك فـإنَّ إيـراد هٰـذا الفصـل كـاملاً سـيخرج عـن كونـه شـاهداً أو مقبوسـاً. ولـذَلِكَ يقـوم الباحـث باختصـار هٰـذا الـنَّصِّ الطويل بسطر أو أقلَّ أو أكثر.

في هٰـذه الحـال لا يحصـر الشَّـاهد بَـيْنَ قوسـين وإنَّمـا يظـلُّ حـرًّا مـن دون أقـواس. ولكـن يجـب لفـت الانتبـاه إِلَى بدايتـه، أمَّـا نهايتـه فتكـون بوضـع رقـم الإحالـة إِلَى مصـدر هٰـذا الكـلام. ولـيس هنـاك طريقـةٌ واحـدةٌ للفـت الانتبـاه إِلَى بدايـة الشَّـاهد، فـالأمر مـرتبطٌ بطبيعـة الشَّـاهد وموضـعه وأسـلوب الباحـث ولغتـه. ومـن قبيـل ذلـك علـى سـبيل المثـال القـول: ذهـب فـلان إِلَى كـذا.... أو: رأى فـلانٌ أنَّ ... أو: وقـد حـدَّد التَّقريـر كـذا... وهلـمَّ جـرًّا مـن مثـل هٰـذا وهو أكثر من الكثير.

مفهوم التَّقميش

فرق كبير بَيْنَ القارئ والباحث في التَّعامل مع الكتاب أو النَّص المقروء من جريدة أو مجلة أو موسوعة أو غير ذَلِكَ. القارئ له أغراضٌ محدَّدة من القراءة، ولذَلِكَ ليس من الضَّروري أن يتوافق كلُّ القراء في طريقة التَّعامل مع النَّصِّ؛ بعضهم يسطِّر تحت عبارات معينة، وبعضهم يضع إشارة بجانبها، وبعضهم يعلق على هامشها، وبعضهم يلونها... وغير ذَلِكَ كثير مما يساعد القارئ إذا رجع إلى النَّص أن يقف على ما أشار إليه بطريقته.

الكاتب قارئ أيضاً، ويقوم بما يقوم به أيُّ قارئٍ. وفي حال قراءته للبحث أيضاً قد يقوم بما يقوم به أيُّ قارئٍ، كي يعود إلى ما يحتاج إليه في بحثه عندما يحتاج إليه. لا يوجد أبداً ما يمنع أن يعتمد الباحث هٰذه الطريقة. ولكن هناك أكثر من طريقة ووسيلة لنقل الشَّواهد من النصوص أو استخراجها إلى مكان آخر من أجل استخدامها في البحث.

نقل الشَّواهد والمقبوسات من النُّصوص إلى مكان آخر لتيسير استخدامها هو ما يسمَّى التَّقميش. هٰذا المكان الآخر ليس محدوداً ولا مشروطاً، قد يكون دفتراً خاصًّا أو عامًّا، قد يكون أوراق خاصَّة، قد يكون بطاقاتٍ كرتونيَّةً أو ورقيَّةً، ملوَّنةً أو بلونٍ واحدٍ، وقد يكون اليوم، مع رواج استخدام الحاسوب، ملفًّا على الحاسوب؛ خاصًّا أو عامًّا... وقد يكون، في أسوأ الاحتمالات، الطَّريقة البدائيَّة ذاتها التي أشرنا إليها قبل قليل وهي التَّسطير أو وضع إشاراتٍ خاصَّةً على صفحات النَّصِّ الأصلي ذاته.

بطاقات البحث

لا يوجد ما يمنع أن يكون التَّقميش على أيٍّ من الدَّفاتر أو الأوراق، ولكن لنتخيَّل كم سيعاني الباحث، عند الشُّروع في البحث، من العثور على شواهده أو مقبوساته بَيْنَ الكتب والصَّفحات، هٰذا إن استطاع تذكُّر كلَّ الشَّواهد، أو استطاع تذكُّر أماكنها، أو استطاع تذكُّر الكتاب أو النَّصَّ الذي يوجد الشَّاهد أو المقبوس فيه.

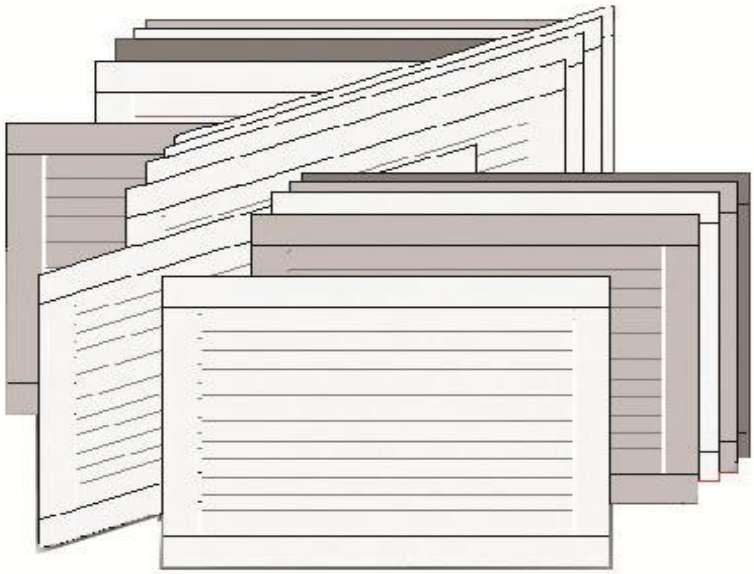

أنموذج للبطاقات الكرتونية

الحقيقة التي لا بد من الإشارة إليها هنا هي أنَّ طبيعة البحث والكتابة البحثيَّة بدأت بالتَّحول النَّوعي والتَّحدُّد الاصطلاحيِّ والمنهجيِّ مع مطالع القرن العشرين. مع هٰذا التَّحول النَّوعي بدأت حاجة الباحثين إلى طرائق أيسر لجمع مادَّتهم البحثيَّة، أي الشَّواهد والمقبوسات. لم يوجد من اهتم بمتابعة هٰذا التَّطوُّر، ولا ضرورة هنا لذٰلِكَ، ولكن فيما يبدو أنَّهُ بعد الإشارة إلى الشَّواهد والمقبوسات

على هوامش الكتب والتَّسطير تحتها تمَّ الانتقال إلى جمعها في دفترٍ أو أوراق خاصَّة. كانت هٰذه الطَّريقة نقلةً حضاريَّة في وقتها يسرت الأمر كثيراً على الباحثين. ولكنَّهَا مع الزَّمن غير الطَّويل بدأت تتكشف عيوبها ومصاعبها فكانت النُّقلة النَّوعيَّة الثانية في عملية التَّقميش وهي تصميم أوراقٍ خاصَّةٍ يتمُّ استخدامها لنقل الشَّواهد والمقبوسات. هٰذه الأوراق الخاصَّة سمِّيت بطاقات البحث. كما في الشكل السابق.

بطاقات البحث قصاصات من الورق المقوَّى، مقصوصةٌ بحجمٍ واحدٍ، مسطَّرة تسطيراً خاصًّا، ذات ألوانٍ متعدِّدةٍ لأغراض مختلفة مرتبطة بذائقة الباحث أو شخصيَّته أو ميوله في الترتيب والتنظيم والتبويب. تكتب عليها الشواهد أو المقبوسات التي يحتاجها إليها الباحث في بحثه، وكذلك تكتب عليها أفكار الباحث الخاصَّة المتعلِّقة بالبحث، حَتَّى لا ينساها.

أنواع البطاقات

عندما نقول بطاقات بحث فنحن نعني اصطلاحيًّا بطاقات البحث الكرتونيَّة أو المصنوعة من الورق المقوَّى، ذات الألوان المتعددة، والمسطرة تسطيراً خاصًّا. ولكن هٰذه البطاقات ذاتها ليست نوعاً واحداً، وإذا افترضنا أنَّهَا نوعٌ واحدٌ فليس هٰذا النَّوع هو الوحيد.

يجب أن نأخذ بعين الحسبان أن ما يعنينا من بطاقات البحث هو الغاية وليس الشَّكل. إذا كان الشَّكل مقصدنا فليس أمامنا سوى البطاقات الكرتونية ذات الأحجام المختلفة. أمَّا إذا كنا نتطلع إلى الغاية من بطاقات البحث فيمكن

أن نكون أمام أكثر من نوعٍ. على أيِّ حالٍ، يمكن القول إنَّنا أمام أربعة أنواع ممن بطاقات البحث هي:

أولاً: البطاقات الكرتونيَّة

البطاقات الكرتونية هي البطاقات النظاميَّة أو القياسيَّة بلفظٍ اصطلاحي. وهي الأفضل على الإطلاق كونها سميكة ومقاومة أكثر مما ييسر حفظها وترتيبها ويجعلها أكثر مقاومة من كثرة الاستعمال أو الرجوع إليها. ومن مزاياها أيضاً القياسات النظاميَّة والثابتة لها ممَّا يجعلها منسجمةً مع بعضها لدى الحفظ، ويجعل حفظها في مكانٍ أو ظرفٍ واحدٍ أمراً متاحاً بسهولةٍ أكبر.

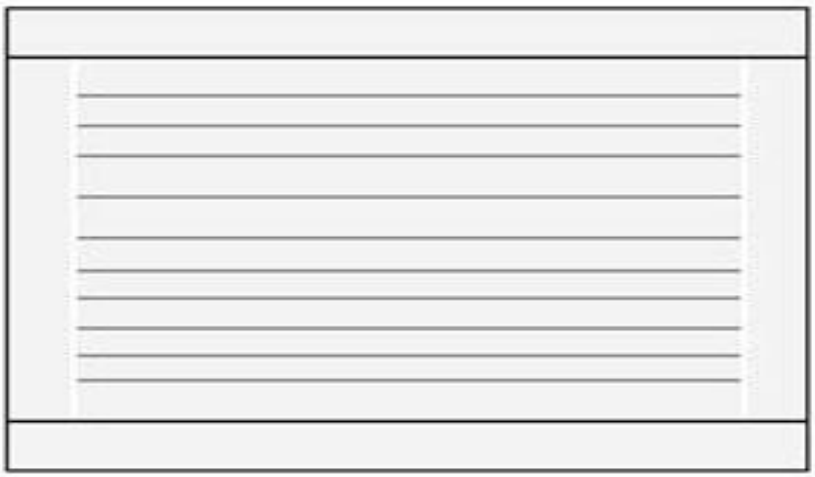

أنموذج بطاقة فارغة

هناك ثلاثة أحجام لهٰذا النَّوع من البطاقات: الكبير والوسط والصغير. الحجم الوسط هو القياسي والأفضل والأكثر انتشاراً والأسهل استخداماً. فهو بحجم المقبوس العادي، ويكفي للإشارات اللازم وضعها

على البطاقة. حجم هٰذه البطاقة (١٠*١٥). أما الصغرى فهي نصفها، مثلما الكبرى هي ضعفا حجمها. إذا كانت الوسطى هي الأفضل والأيسر استخداماً فإنَّ هٰذا لا ينفي ولا يمنع استخدام الكبرى أو الصغرى أو استخدامها كلها معاً من قبل باحثٍ واحدٍ أو حَتَّى في بحثٍ واحدٍ. الأمر مرتبط بالأمزجة والخصائص الشَّخصيَّة للباحث.

ثانياً: البطاقات الورقيَّة

كما أَنَّهُ لا يوجد ما يمنع أو يعيق استخدام أكثر من نوعٍ من البطاقات الكرتونيَّة فإِنَّهُ لا يوجد ما يمنع استخدامها كلها والاستعاضة عنها ببطاقات ورقية يقوم الباحث ذاتها بقصها وإعدادها بالطَّريقة والحجم الذي يراه مناسباً.

هنا لسنا إذن أمام بطاقات جاهزة تحكمنا بحجمها أو لونها أو تسطيرها. نستطيع أن نعدَّ البطاقات من الورق الذي نشاء سواء أكان جديداً أو مستهلكاً من أحد الوجهين، أو من أيِّ نوعٍ آخر من الورق، كأن يكون مثلاً الأوراق المكتبية المربعة صغيرة الحجم.

الباحث هنا حر الاختيار والفعل في إعداد البطاقات بالطريقة التي يشاء والحجم الذي يريد. لا شكَّ في أَنَّهَا لن تتمتع بما تمتَّعت به البطاقات الكرتونيَّة من محاسن. الميزة الحسنة الوحيدة فيها أَنَّهَا من صنع الباحث بالطَّريقة التي يشاء ومن المادَّة التي تتوافر بَيْنَ يديه، وبالحجم الذي يلائم المتاح لديه من الورق أو الحج الذي يريد. ومن ثَمَّ فإنَّ مساوئ هٰذا النَّوع من البطاقات مرتبطٌ بالخيار المتاح أو الذي يختاره الباحث. ولكنَّهَا عامَّة معرَّضة للتلف أو الضياع أو رُبَّما

اللبس أكثر بكثير من البطاقات الكرتونيَّة. وفيما يلي واحدٌ من نماذج البطاقات الورقية:

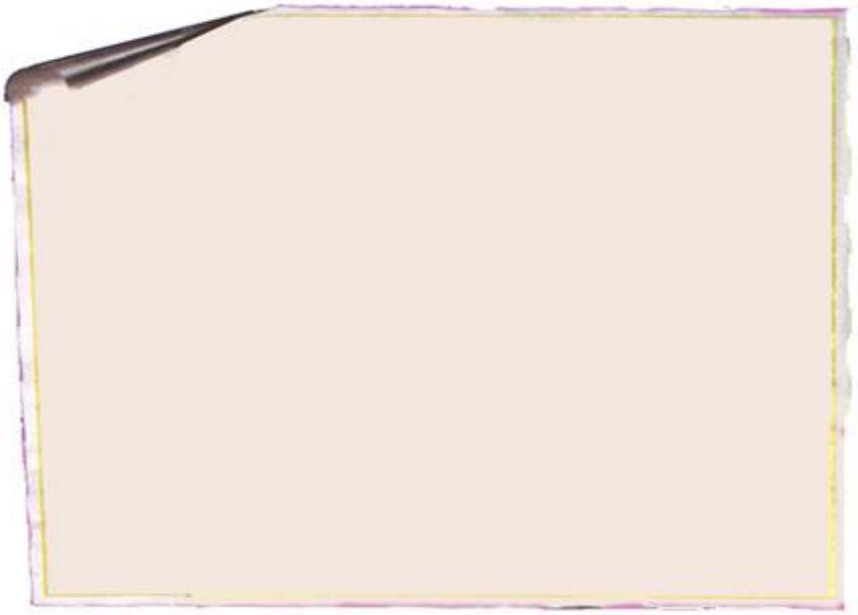

ثالثاً: الدفاتر الخاصَّة

مع البطاقات الورقية قلَّت المحاسن وكثرت المساوئ بالمقارنة مع البطاقات الكرتونيَّة القياسيَّة. هنا أيضاً، مع الدَّفاتر أو الكراسات الخاصَّة، نبتعد درجة مما ثلة من قلة المحاسن وزيادة المساوئ عن البطاقات الورقيَّة.

عندما نقول دفاتر أو كرَّاسات فنحن لا نعني أبداً أيَّ تحديدٍ للحجم أو النَّوع أو عدد الصَّفحات. الأمر خاصٌّ بالباحث. ولكن لأنَّ الاختلاف كليٌّ بَيْنَ استخدام الدَّفتر ونوعي البطاقات فإنَّ الضرورة تلحف علينا تبيان أنَّ استخدام الدفتر أو الكراس للتقميش أمرٌ مربكٌ للباحث سواء أعمد إلى التَّبويب

أم لم يعمد إليه، أي سواء أَكَتَبَ الشَّواهد والمقوبسات متتاليةً من دون تبويبٍ للفصول أو عمد إلى تقسيم أوراق الدَّفتر إلى أقسامٍ تخصُّ الفصول. ذَلِكَ أَنَّهُ في الحالين سيكتب الشَّواهد والمقبوسات التي يصل إليها تباعاً بغضِّ النَّظر عن مكان استخدامها في البحث، الأمر الذي سيجعل العودة إليها عند كتابة البحث قائمةً على التَّذكُّر الذي لن يفلح في تتبع عشرات الشَّواهد والمقبوسات، وسيضطر البحث إلى البحث عن الشَّاهد الذي يحتاجه كلما احتاج شاهداً. ورُبَّما يشطب بالخطأ مقبوساً لم يستخدمه فلا يعود إليه مع حاجته إليه، أو ينسى أن يشطب مقبوساً قام باستخدامه فتربكه العودة إليه. هٰذا إذا عند إلى شطب ما يستخدمه من القوبسات، أمَّا إذا لم يقم بذلك فستكون مشكلته أكبر. لذَلِكَ لا ينصح باستخدام الدفتر للتقميش، ولم يعد يستخدم أصلاً. ومع ذَلِكَ للباحث أن يختار ما شاء. وفيما يلي أنموذجين للدفاتر، وأي دفتر يمكن أن يخصص للتقميش:

أنموذج دفتر تقميش

رابعاً: البطاقات الإلكترونيَّة

اليوم مع انتشار الحاسوب وتغلغله في مختلف مفاصل الحياة، لا يمكن إلا أن نتحدَّث عن إمكانيَّة استثمار قدرات الحاسوب الهائلة في توظيفه محل بطاقات البحث، الأمر الذي يمارسه حقيقة كثيرٌ من الباحثين.

بدل كتابة الشَّواهد والمقبوسات على بطاقة بحث يمكن فتح ملف أو أكثر لها وجمعها على هٰذا الملف/ الملفات. هنا ترتفع درجة المحاسن، وتستجدُّ مساوئ من نوعٍ جديدٍ.

أمَّا المحاسن **فأولها** استثمار التَّقانة الإلكترونيَّة في عمليَّة التَّقميش بما تتيحه من إمكانات مختلفة، **ثانيها** أن تكون الشَّواهد موجودة معاً على ملفٍّ واحدٍ، **ثالثها** حفظها الإلكتروني واللجوء إليها عند الحاجة إلى أجل طويل، **رابعها** سهولة العثور على الشاهد المطلوب من خلال البحث عن الكلمات المفتاحيَّة، **خامسها** إمكانية ترتيبها بسرعة، **سادسها** توثيق المقبوسات مباشرة وبقاء التوثيق جاهزاً عند أيِّ استخدام كونها جاهزة عند الكتابة، **سابعها** إمكانية استخدام

الشواهد والمقبوسات في أبحاث أخرى إذا كان إليها من حاجة إذا بقيت محفوظة لدى الباحث.

أمَّا المساوئ فهي متنوِّعةٌ ومتباينةٌ. **أوَّل** المساوئ هي أنَّ الباحث سيكتب الشَّواهد على الورق ويعيد كتابتها على الحاسوب. **ثانيها** أَنَّهُ سيعمل على القراءة في المراجع والكتابة على الحاسوب في وقت واحد. **ثالثها** أن وضع التعامل مع الحاسوب ثابت فيما وضع التَّعامل مع الكتاب متغير ومتنوع. **رابعها** أَنَّهُ قد يكون من الصعوبة الجمع بَيْنَ القراءة والكتابة على الحاسوب في القوت ذاته. **خامسها** أنَّ الحاسوب غير متوافر في كلِّ الحالات والاحتمالات والأماكن. ولن نضيف سادساً لنقول إنَّ انقطاع التيَّار الكهربائي قد يفسد على الباحث رغبته في البحث والمراجعة لأنَّ الحاسوب المحمول قد يفي بالغرض إذا كان يدخر من الكهرباء ما يكفي.

أهمية البطاقات

لم يعد الحديث في أهميَّة بطاقات البحث مسألة اختراع أو إضافة جديد بعد الحديث في أنواعها، إذ برزت نقاط الأهميَّة في كل نوعٍ على حدةٍ. ولذلك سننظر الآن نظرة إجماليَّة لما سبق الحديث في منه محاسن. باستثناء الدفاتر والكرَّاسات يمكن القول إن أهميَّة بطاقات البحث تكمن في النِّقاط التَّالية:

أولاً: جمع الشَّواهد والمقبوسات من المراجع والمصادر المتعددة والمختلفة في مكان واحدٍ، ومعها كذلك الأفكار التي يدبجها الباحث عندما تخطر في باله مما يتعلق بالبحث.

ثانياً: إمكانية ترتيبها وتنظيمها بحسب الحاجة؛ حسب الفصول والفقرات، أو حسب الأفكار، أو حسب المراجع والمصادر أو غير ذَلِكَ مما يرتئيه الباحث ويرى أن ييسر عليه العمل أكثر.

ثالثاً: إمكانية إعادة ترتيب البطاقات بعد الانتهاء من البحث بما يخدم الباحث في الحاجة إليها في أبحاث أخرى إذا اقتضى الأمر.

رابعاً: سهولة استخدام البطاقات والتعامل معها أكثر بكثير جدًّا من العودة إلى المراجع والمصادر، أو البحث في الكراسات والدفاتر عن الشواهد والمقبوسات التي دبجها عليها.

خامساً: إمكانية حفظ البطاقات في ظروف صغيرة لا تحتاج إلى مكان كبير، خلاف المراجع والمصادر التي قد يضطر الباحث إلى وضعها أمامه أو حواليه في أثناء عمليَّة كتابة البحث.

سادساً: سهولة حملها والتَّنقل وبها، ويسر أخذها من مكانٍ إلى مكانٍ إذا اقتضى الأمر من الباحث أن يغير مكانه أو يتنقل من مكان إلى آخر أو من مدينة إلى أخرى في أثناء عمليَّة البحث، أو من أجل أغراضٍ بحثيَّةٍ.

سابعاً: العمل ببطاقات البحث ضمن الشروط المثلى يساعد الباحث كثيراً في كسب الزَّمن واختصار الوقت وتقليل الجهد، وكلُّ ذَلِكَ مما يحتاج الباحث أيُّما حاجةٍ، فهو غالباً إن لم يكن دائماً في سباق مع الزَّمن وفي أمس الحاجة إلى تقليل الجهد الذي هو عامل أساسيٌّ من عوامل هدر الوقت أو كسبه.

العمل بالبطاقات

يوحى إلى من قرأ ما سبق من قيمة بطاقات البحث وأهميتها وأنواعها وغير ذَلِكَ مما سبق الكلام فيه أنَّ استخدام هٰذه البطاقات والعمل فيها ضرب من السحر أو اختراع ما لا يخترع.

الحقيقة أنَّ المسألة سهلة يسيرة. لا توجد أيُّ صعوبةٍ في استخدام البطاقات، ولا أي نوع من التَّعقيد. باختصار يمكن القول أَنَّهُ يمكن للباحث أن يستخدمها بأيِّ طريقةٍ شاء، وأيِّ طريقةٍ ارتأى أنَّهَا تناسبه أو تنسجم مع طريقة تفكيره واحتياجاته. بل إننا أشرنا إلى أَنَّهُ بإمكانه الاستغناء عنها فلا يوجد ما يمنع ذَلِكَ أو يحول دونه. فإذا كان من الممكن الاستغناء عنها هل نستطيع أن نلزم الباحث بعبء ينوء به كاهله؟!

المسألة ليست كذلك في حقيقة الأمر. لم يكن اختراع بطاقات البحث إلا ليخدم الباحث وييسر عليه عمله. وتيسر عمل الباحث يوجب عليه اتِّباع ما يساعده على تيسير البحث لا أن يتورط بسوء الاستخدام فيضيع كلَّ جهده ووقته أو نصفهما أو بعضهما.

لا خلاف على أنَّ مساحة البطاقة متوسطة الحجم كافية لأيِّ شاهد أو مقبوس استناداً إلى أنَّ المقبوس بحدود بضع أسطرٍ. قد لا يكفي وجه البطاقة الواحد للمقوس في بعض الحالات، لا بأس، يمكن للباحث أن يقلب البطاقة ويتابع على الوجه الثاني، ولكن عليه في هٰذه الحال أن يضع ما يلفت انتباهه إلى وجوب المتابعة على الوجه الآخر من البطاقة مثل كلمة يتبع، تتمة، سهم... أو أيِّ شيءٍ آخر.

قبل ذَلِكَ أو بعده، أي قبل كتابة الشَّاهد أو المقبوس على البطاقة أو بعده، على الباحث أن يضع مؤشرات الشَّاهد أو المقبوس التي ترشده وتيسر عمله من خلال تحديد مكاني الأخذ والوضع وكيفية الاستخدام.

هناك أربعة مؤشرات يجب وضعها على البطاقة هي: أولها المؤلف، ثانيها اسم المرجع أو المصدر، ثالثها مكان الاستخدام، رابعها ملاحظة على الاستخدام.

هٰذه المؤشرات الأربعة يمكن توزيعها على زوايا البطاقة الأربع. لا توجد قاعدة محددة لهٰذا التَّوزيع. يمكن للباحث أن يختار الزاوية التي يشاء للمؤشر الذي يشاء. هٰذه الحريَّة غير مقيَّدة. ولكن ماذا لو لم يعتمد الباحث مبدأ ثابتاً في توزيع المؤشرات؛ فراح يكتب اسم المؤلف مثلاً مرَّةً فوق ومرَّةً تحت وثالثةً يمين ورابعةً شمال؟

لا شكَّ في أَنَّهُ سيقع في الخلط واللبس غير مرَّةٍ على الأقلِّ. وإذا افترضنا أَنَّهُ أسعفته بداهته أو حصافته ولم يقع في الخلط واللبس، فلا شكَّ في أَنَّهُ سيأخذ من الوقت أكثر بكثير مما لو كان معتمداً مبدأً تصنيفاً موحَّداً.

إذن لا بدَّ من أن يعتمد الباحث مبدأً تصنيفيًّا موحداً لكلِّ البطاقات. أيضاً لا يوجد مبدأٌ واحدٌ. ولكن يجب أن يختار الزاوية التي شاء للمؤلف ويحافظ عليها في كلِّ البطاقات، وكذلك عليه أن يفعل مع اسم المرجع أو المصدر، وكذلك الأمر مع فصل الاستخدام وملاحظة الاستخدام.

ولكن ماذا لو تركنا للمنطق أن يختار لنا؟ ألن يكون الحال أكثر سلاسةً؟ ولنتأمل في البطاقة التالية بداية:

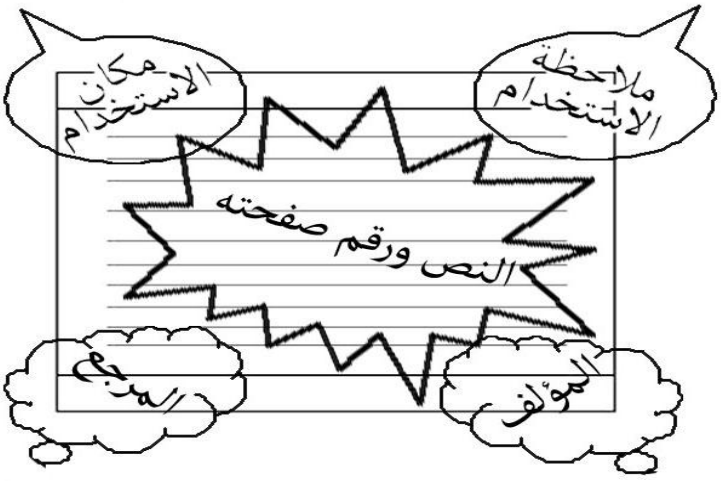

أنموذج لتوزيع مساحات البطاقة

لن يحتاج الباحث اسم المرجع ولا المؤلف إلا عند الفراغ من تفريغ المقبوس بَيْنَ طيات البحث من أجل التوثيق. ولكنَّهُ بحاجة ماسة للسرعة في معرفة مكان المقبوس وكيفية استخدامه. والحال الطبيعية أن الباحث إذ يقلب البطاقات فإِنَّهُ يرى رؤوسها، أي من الأعلى. لذَلِكَ فإن المستحسن أن يخصص الباحث الزاويتين العلويتين لفصل الاستخدام وملاحظة الاستخدام، بينما تخصص السفليتين للمؤلف من اليمين، واسم المرجع من الشِّمال.

فصل الاستخدام هو الفصل الذي يخمن الباحث أَنَّهُ سيستخدم المقبوس فيه. وإذا لم يكن البحث مكوَّناً من فصولٍ فيكون محلَّ الفصل الفقرةُ التي يريد الباحث أن يستخدم المقبوس فيها. من المفترض أن يقلَّ خطأ اختيار الفصل أو الفقرة التي يريد بالحث أن يستخدم الشَّاهد أو المقبوس فيها، ولكن قد يخطئ الباحث في تحديد الفصل، ولا مشكلة في ذَلِكَ ولا عيب. ولكن في بعض

الأحيان، وقد لا تكون قليلة عدداً لا نسبةً، يقع الباحث في حيرة أو تردد في تحديد مكان المقبوس.

هنا تأتي أهميَّة ملاحظة الاستخدام. ملاحظة الاستخدام هي ما يرتئيه الباحث من ملاحظات على المقبوس من ناحية مكان الاستخدام وكيفيَّته، وما إذا كان سيعلِّق عليه تعليقاً محدَّداً أم سيتركه لسياق البحث، هل سيربطه بمقبوسٍ آخر أم سيربطه بفكرة معيَّنه؟

ملاحظة الاستخدام مسألةٌ مهمةٌ جدًّا في توجيه الباحث وتيسير عمله. ولذلك عليها ألا يهملها على الإطلاق. وفيما يلي أنموذج للبطاقة بعد ملئها:

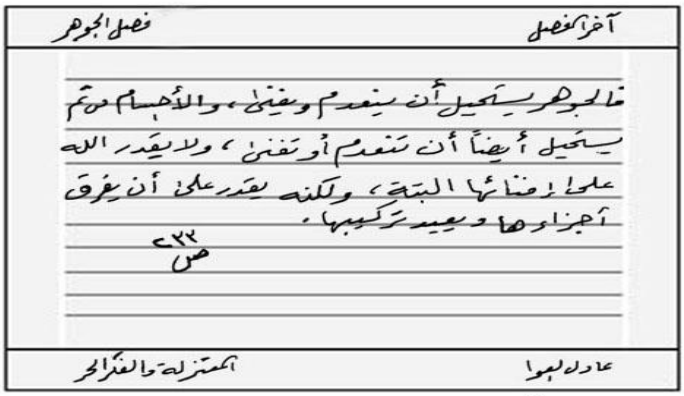

أنموذج لبطاقة مكتوبة

تبويب البطاقات وترتيبها

نحن هنا أمام الخطوة الخيرة؛ الخطوة الأخيرة من التقميش، والخطوة الأخيرة من البحث أيضاً. بعد الفراغ من التقميش لا شيء يفعله الباحث سوى المباشرة بكتابة البحث.

أشرنا في اختيار البحث وإعداده إلى أَنَّهُ ليست هناك أيُّ ضرورةٍ لشروع الباحث بالكتابة فور انتهائه من التَّقميش. قد يستطيع ذَلِكَ على الفور، وقد يحتاج إلى وقت استجمامٍ نفسيٍّ أو لإعادة النَّظر الشَّاملة للبحث، أو غير ذَلِكَ. كما أَنَّهُ يستطيع الكتابة في أثناء التَّقميش، ويمكنه كتابة أيِّ فصلٍ من دون مراعاة ترتيب الفصول. كلُّ ذَلِكَ مع مراعاة أنَّ الكتابة ممارسة إبداعيَّة بمعنى من المعاني ليست ممكنة في أيِّ وقت، يجب أن تكون النفس مقبلة على الكتابة وراغبة فيها.

على أيِّ حالٍ، ترتيب بطاقات البحث مسألةٌ لازمةٌ متى بدأ الباحث الكتابة وكيفما بدأها. هٰذا اللزوم لزم ضرورة لا حتميَّة، لزوم فائدةٍ لا لزم مقدمات ونتائج. أعني أنَّ ترتيب البطاقات ضروريٌّ لفائدة الباحث في بحثه لا وجوبٌ لا مناص منه.

الطريقة الأولى: أشرنا إلى أنَّ بطاقات البحث القياسيَّة ملونة أصلاً، إذ الشَّركات التِّجاريَّة المنتجة لها تصدرها بألوان متعددة وغير قليلةٍ، رُبَّما يكون قصدها للإغراء والترويج، ولكن مع ذَلِكَ فإنَّ هٰذه الألوان تؤدي غرضاً منهجيًّا هو تخصيص كلِّ لون من هٰذه الألوان لفصل من فصول البحث إن كان موزعاً على فصول، أو لكلِّ فقرة/ فكرة منه إن كان بحثاً صغيراً.

هٰذا جيد، ويعتده كثيرٌ من الباحثين، وخاصَّة الشبان منهم والمبتدئون. ولكن هٰذه الطريقة كثيرة العيوب في حقيقة الأمر. ذَلِكَ أنَّ الباحث إذ ينقب عن الشواهد والمقبوسات في المراجع والمصادر لن يجدها مرتبة حسب الفصول، وغنما ستكون عشوائيَّة التَّوزيع الأمر الذي سيحول الباحث إلى لاعب شطرنج

يتأنى ويتفنن في اختيار البطاقة واللون، وقد يجد اللون المطلوب بَيْنَ يديه وقد لا يجده، وقد يغير الباحث ويبدل بعد حين من تقميش المقبوس فيغدو التخصيص اللوني لا قيمة له.

على افتراض سير الأمور على ما يرام من دون عقبات فإنَّ هٰذا لا يعفي من ترتيب البطاقات حسب تسلسل الحاجة إلى استخدامها في البحث. تسلسل الحاجة إلى استخدام المقبوسات مرتهن بتقدير الباحث الذي يفترض أَنَّهُ أشار إليه في إحدى زوايا بطاقة البحث، وقد أن تكون علوية من اليمين أو الشمال.

الطريقة الثانية: أمَّا إذا لم يعتمد الباحث الألوان للفصول، وهٰذا هو الأفضل، والأكثر يسراً، فإنَّ الباحث يكون قد حدَّد الفصل المراد استخدام المقبوس فيه على رأس البطاقة من اليمين أو الشِّمال. وعلى الجانب الأيسر يكون قد حدد ملاحظته لاستخدام هٰذا الباحث من ناحية الترتيب أو طبيعة الاستخدام.

يمكن للباحث أن يرتب البطاقات بعد كتابتها على الفور، كلما فرغ من مرجع يقوم بترتيب البطاقات التي كتبها إما على الفصول من دون تمييز، أو يقوم بترتيبها لكل فصل حسب تتالي استخدامها. وهنا ينصح الباحث بوضع بطاقات كلِّ فصل في ظرف مستقلٍّ، الأمر الذي يوفِّر له الاطلاع الدَّائم على مدى ما أنجزه من احتياجات كلِّ فصلٍ طيلة مراحل التَّقميش. ويجعله على بينه من الفصل أو الفصول الفقيرة إلى مزيد من الشواهد والمقبوسات.

الطريقة الثالثة: كما يمكن الباحث أن يرتِّب البطاقات فور كتابتها كذلك يمكنه أن يرجئ ترتيب البطاقات إلى أن ينتهي من التَّقميش، أو أن يظنَّ نفسه

قد فرغ من هٰذه المرحلة. هناك من يعتمد هٰذه الطَّريقة. هم قلَّة فيما أفترض، أو على الأقل فإنَّ من جرَّب هٰذه الطريقة من الباحثين مرة فإنَّهُ لن يعيدها، شأنها في المعايب شأن طريقة الألوان، إذ إذا ترك الباحث ترتيب البطاقات إلى ما بعد الفراغ من المراجع التي اعتمدها للبحث فإنَّهُ غالباً ما سيفاجئ بأَنَّهُ اقتبس المزيد من الشواهد لفصل من الفصول أو أكثر، وبقي فصل أو أكثر من دون ما يكفي ما من الشواهد والمقبوسات، الأمر الذي سيفرض عليه أن يعيد القراءة من جديدٍ إمَّا في المراجع ذاتها أو أن يبحث عن مراجع جديدةٍ.

هٰذا يعني أننا نحن نفضل الطريقة الثانية ونراها الأيسر والأكثر تيسيراً للباحث. ولكن لكلِّ باحثٍ تفضيلاته الخاصَّة، ولا يوجد ما يلزمه أحداً من الباحثين أي نوع من الإلزام في اتباع هٰذه الطريقة أو تلك.

هٰذا الكلام ينطبق حصراً على البطاقات بأنواعها؛ الملونة منها أو غير الملونة التي يقوم الباحث ذاته بإعدادها. أما الدفاتر أو البطاقات الإلكترونية فإنَّهَا لا تنطبق عليها هٰذه الطرائق. من الصُّعوبة البالغة أن ترتَّب مقبوسات الدَّفاتر أو الكراسات إلا إذا كتب كلُّ مقبوسٍ على حدةٍ على صفحةٍ مستقلَّةٍ، هنا تنطبق على الدَّفتر طرائق ترتيب البطاقات، ولكن بعد فكِّ الصَّفحات وجعلها مستقلَّةً عن بعضها، فتتغير صفة الدَّفتر إلى بطاقات. أمَّا البطاقات الإلكترونيَّة فينصح الباحث بأن يجعل كلَّ مقبوس فقرةً مستقلةً واحدةً، ويبدأ كلَّ مقبوسٍ برقم الفصل الذي يريد استخدام المقبوس فيه، وعندما ينتهي من مرحلة الاقتباس كلاًّ أو بعد كلِّ كتاب يقوم بتحديد المقبوسات وفرزها حسب الفقرات فتأتي الفصول مرتبةً. وبعد ذَلِكَ يقوم بإعادة ترتيب مقبوسات كلِّ فصلٍ حسب تسلسل استخدامها في

الفصل. وينصح الباحث هنا بالفصل بَيْنَ المقبوسات فيجعل مقبوسات كلِّ فصلٍ في ملَّفٍ مستقلٍّ لتيسير العمل.

خاتمة

بعد ترتيب المقبوسات يكون الباحث وجهاً لوجه أمام إمكانية البدء بالكتابة. هٰذا إذا افترضنا أن الباحث لم يبدأ بالكتابة قبل ذَلِكَ. لا يوجد ما يمنع كما أشرنا سابقاً من أن يبدأ الباحث في الكتابة في أي لحظة شاء. نحن في حقيقة الأمر نخاطب هنا الباحث المتدرب، المبتدئ أكثر مما نخاطب الباحث المحترف، بل نحن لا نخاطب الباحث المحترف، الباحث المحترف له طريقته وأسلوبه خصائصه التي تميزه أو هو يمتاز بها، ورُبَّما سيشعر بالامتعاض إذا شعر أننا نوجه له نصحنا، ونحن لا نفعل ذَلِكَ.

هٰذا يعني أنَّ الباحث المتدرِّب الآن، الذي يصغي إلى هٰذه القواعد والنصائح، بإمكانه بعد حين، حين يصبح محترفاً متمكناً، أن ينفض غبارها عن كاهله ويخط طريقه بالأسلوب الذي يراه مناسباً له أكثر. ولم لا؟ امتلك قدرات المحترف واسلك لنفسك الطريق الذي تشاء وترتاح به.

صَدَرَ لِلمُؤَلِّف

- أسس التوثيق؛ نحو نظرية عربية في التوثيق ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠١١م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي ـ الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠٠٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال و الاستقالة و الترميم ـ مكتبة دار الفتح ـ دمشق ـ ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شـــعر) ـ دار الأصـالة للطباعة ـ دمشـق ـ ١٩٩٧م.
- أَنـا صـدى الليـل (شـــعر) ـ دار الأَصـالة للطباعـة ـ دمشـــق ـ ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) ـ دار الأصالة للطباعة ـ دمشق ـ ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠٠٥م.
- أنـا وعينـاك صـديقان (شـعر) دار الأصـالة للطباعـة ـ دمشـق ـ ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شـعر) ـ دار الأصـالة للطباعـة ـ دمشـــق ـ ١٩٩٦م.
- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي ـ ط١: مكتبة دار الفتح ـ دمشق ـ ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار الشـعر الحـر ـ دار الثـقافة ـ دمشـــق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشـــق ـ (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي ـ دار الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٩٥م.

- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ ٢٠٠٠م.
- بديع الكسم ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٩٤م.
- تمهيد في علم الجمال ـ جامعة تشرين ـ اللاذقية ـ ٢٠٠٧م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ١٩٩٩م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) ـ ن . م ـ دمشق ـ ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ ـ دار الأصالة للطباعة ـ دمشق ـ ١٩٩٤م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة ـ دمشق ـ ٢٠٠٧م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ٢٠٠٨م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠٠٨م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة ـ دار الأصالة للطباعة ـ دمشق ـ ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) – دار الأصالة للطباعة ـ دمشق ـ ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) ـ دار الأصالة للطباعة ـ دمشق ـ ١٩٩٦م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون – دار طلاس – دمشق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) ـ دار الأَصالة للطباعة ـ دمشق ـ ٢٠٠٥م.

- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة ـ دمشق ـ ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر ـ جامعة تشرين ـ اللاذقية ـ ٢٠٠٧م.
- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول ـ دار ا لفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ ـ دار السلام للطباعة ـ دمشق ـ ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) ـ دار الأصالة للطباعة ـ دمشق ـ ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها ـ دار إنانا ـ دمشق ـ ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠٠٧م.
- مختارات من دارسي التراث العربي ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية ـ جامعة تشرين ـ اللاذقية ـ ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى ـ جامعة تشرين ـ اللاذقية ـ ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية ـ جامعة تشرين ـ اللاذقية ـ ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ١٩٩٨م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠٠٥م.

- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) - دار الأصالة للطباعة - دمشق - ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد - مكتبة دار الفتح - دمشق - ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات - دار إنانا - دمشق - ٢٠٠٥م.
- نهاية الفلسفة - دار الفكر الفلسفي - دمشق - ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا - دار الثقافة - دمشق - ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) - دار الفكر الفلسفي - دمشق - ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة - دمشق - ٢٠٠٨م.

فهرس

- **الإهداء**..... ٥
- **مقدمة** ٧
- **الفصل الأول:من هو الباحث؟** ١١

. مقدمة ١٣

. الموهبة ١٤

. الفصل بَيْنَ المفاهيم..... ١٥

. الجدية والرسالة ١٦

. الأخلاقيات المهنية ١٧

. أخلاق الباحث..... ١٨

- **الفصل الثاني: مفهوم الباحث**..... ٣١

. مقدمة ٣٢

. أولاً: تعريف البحث ٣٣

. ثانياً: حجم البحث ٣٦

. ثالثاً: مدة البحث ٤٢

. رابعاً: منهج البحث..... ٤٧

. خاتمة ٥٠

- **الفصل الثالث: فنون الكتابة وأنواعها** ٥٣

. مقدمة ٥٥

. البحث ٥٧

. الدراسة..... ٥٩
. المقالة..... ٦٤
أولاً: أقسام المقالة..... ٦٦
ثانياً: عناصر المقالة..... ٦٧
ثالثاً: أنواع المقالة..... ٦٧
. النقد ٦٨
. التحقيق ٧١
أولاً: اختيار المخطوط ٧١
ثانياً: جمع نسخ المخطوط..... ٧٢
ثالثاً: منازل النسخ ٧٣
رابعاً: ترتيب النسخ ٧٣
خامساً: وصف النسخ المعتمدة ٧٤
سادساً: تحقيق عنوان الكتاب ٧٤
سابعاً: تحقيق اسم المؤلف ٧٥
ثامناً: تحقيق المتن ٧٥
. العرض ٧٦
أولاً: العرض التلخيصي..... ٧٨
ثانياً: العرض التعريفي ٧٨
ثالثاً: العرض التحليلي النقدي..... ٧٩
رابعاً: العرض الدعائي والإعلاني ٧٩

- **الفصل الرابع: اختيار البحث وإعداده** ٨١
. مقدمة ٨٣
. اختيار البحث والموهبة ٨٤
. شروط اختيار البحث ٨٧
أولاً: الهدوء..... ٨٨
ثانياً: الاهتمام ٨٨
ثالثاً: الجدة ٨٩
رابعاً: الأهمية ٩٠
خامساً: الفائدة..... ٩١
سادساً: إمكانية التحقق..... ٩٢
. إعداد البحث ٩٣
أولاً: النظر في المراجع..... ٩٤
ثانياً: بَيْنَ المراجع والمصادر..... ٩٥
ثالثاً: وضع المخطط ٩٧
رابعاً: التقميش ١٠٠
خامساً: كتابة البحث..... ١٠٠
. خاتمة..... ١٠٤
- **الفصل الخامس: الاقتباس والتقميش** ١٠٥
. مقدمة ١٠٧
. الاقتباس وأنواعه ١٠٧
. مفهوم التقميش ١١١
. بطاقات البخث ١١٢

. أنواع البطاقات ١١٣
أولاً: البطاقات الكرتونية ١١٤
ثانياً: البطاقات الورقية ١١٥
ثالثاً: الدفاتر الخاصَّة..... ١١٣
رابعاً: البطاقات الإلكترونية..... ١١٨
. أهمية البطاقات ١١٩
. العمل بالبطاقات ١٢١
. تبويب البطاقات..... ١٢٤
. خاتمة..... ١٢٨
• **صدر من كتب المؤلف** ١٢٩
• **الفهرس**. ١٣٣

دار الفكر الفلسفي
دمشق 2011م

Writing research

concepts, essentials and rules

By

Prof. Dr. Ezzat Assayed Ahmad

Al- Fekr Alfasafi For Publishing

Damascus , 2011